

**الفتاوى النبوية
في
المسائل العقديّة
(٤٠ حديثاً)**

**تأليف
زيد بن فالح الربع الشمري**

**الطبعة الأولى
١٤٤٤ هـ / ٢٠٢٢ م**



محفوظ
جميع الحقوق





بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله.

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [سورة آل

عمران: آية ١٠٢].

﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَجِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ؕ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ ؕ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [سورة النساء: آية ١].

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [سورة الأحزاب: آية ٧٠-٧١].

أما بعد:

فهذه فتاوى نبوية اشتملت على أجوبة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على أسئلة الصحابة واستفتائاتهم في العقيدة ولم ألتزم استقصاء جميع فتاوى النبي العقدية فهي كثيرة ومتنوعة وإنما اخترت منها ٤٠ حديثاً مما يشتمل على أغلب أصول أبواب العقيدة في الجملة ويحصل به المقصود إن شاء الله.

ولم ألتزم فيه بترتيب معين للفتاوى وقد جمعت هذه الفتاوى النبوية المباركة لربط المسلم في عقيدته بشكل مباشر بكلام النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وبيانه

وفتاواه العقديّة فهو الذي لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى وحتى لا يعترض معترض قائلًا إن هذه فتوى هذا العالم، أو اجتهاد من ذاك، أو هذا معتقد المذهب الفلاني، ونحو ذلك من الأعذار التي تتخذ ذريعة لرد الحق الذي جاء واضحاً صريحاً في كتاب الله تعالى وسنة رسوله عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ .

ويناسب في هذا المقام ذكر هذا القول لابن حجر قال رَحِمَهُ اللهُ: (كل التأويلات المتعسفة تضحل عند الأحاديث المصرحة بالمراد، فأولى ما فسر الحديث بالحديث).

فأي قول بعد قوله! وأي بيان بعد بيانه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ وأي فتوى خير من فتواه! وبهذه الفتاوى النبوية يعرف بطلان ما عليه المخالفون من مجانبة الحق والإعراض عنه؛ لأن المسألة إذا نص عليها من قبل النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بفتوى مباشرة صادرة منه فهي الحد الفاصل بين الحق والباطل.

وقد نص القرآن على أن الصحابة كانوا يستفتون رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ فقال تعالى ﴿وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسَاءِ﴾ [سورة النساء: آية ١٢٧].

وعن عقبة بن عامر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: (نذرت أختي أن تمشي إلى بيت الله، وأمرتني أن أستفتي لها النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فاستفتيته، فقال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: لتمش، ولتركب)^(١).

وهذا البحث الذي احتوى على هذه الفتاوى النبوية الكريمة لهو مبحث شريف ومهم لكل طالب علم وكل مسلم، وهو بحق دليل كاف قاطع على صحة معتقد أهل السنة والجماعة فالمستفتون: هم الصحابة رضوان الله عليهم الذين

(١) أخرجه البخاري (١٨٦٦)، ومسلم (١٦٤٤).

وصف حال أسألتهم واستفتاءاتهم للنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عبد الله بن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُ فقال: "ما رأيت قوما كانوا خيراً من أصحاب رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ... ما كانوا يسألون إلا عما ينفعهم"^(١).

والمفتي: هو سيد المرسلين وإمام المفتين فخذها حجة بينك وبين الله في عقيدتك من فتاوى رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فهو أعلم الخلق بالله وبحقه على عباده وأخشاهم وأتقاهم له وأنصحهم لعباده.

أسأل الله لي ولكم التوفيق لما يحبه ويرضاه والعناية بالتوحيد الذي هو حق الله على العبيد تعلموا وتعلّموا ونشروا وأن يحيينا عليه ويميتنا عليه ويجزينا به بفضلِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أَعْظَمُ الْجُزْءِ وَأَفْضَلُهُ وَأَوْفَاهُ فِي الدَّارَيْنِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي بِنِعْمَتِهِ تَتِمُّ الصَّالِحَاتُ.

زيد بن فالح الربع الشمري

المملكة العربية السعودية

منطقة الحدود الشمالية

قرية المركوز

واتساب ٥٤٢١٢٥١٧٤٠



(١) أخرجه الدارمي.

﴿١﴾ أفضل الأعمال إيمان بالله ورسوله ﴿﴾

عن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: (أن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سئل: أي العمل أفضل؟ فقال: إيمان بالله ورسوله. قيل: ثم ماذا؟ قال: الجهاد في سبيل الله قيل: ثم ماذا؟ قال: حج مبرور)^(١).

من فوائد هذه الفتوى النبوية الكريمة :

١. حرص الصحابة على العلم وعلى العمل به باستفتاء رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حيث سأله أي العمل أفضل.
٢. أن أفضل الأعمال وأعظمها إيمان بالله ورسوله، قال تعالى ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا﴾ [سورة الحجرات: آية ١٥].
٣. الحديث دليل صريح على أن العمل من الإيمان لأن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ "سئل أي العمل أفضل؟ فقال إيمان بالله" فدل ذلك بوضوح على أن العمل داخل في الإيمان وليس كما قالت المرجئة بأن الأعمال ليست من الإيمان والصحيح هو ما عليه السلف الصالح أهل السنة والجماعة من أن الإيمان: اعتقاد بالقلب ونطق باللسان وعمل بالجوارح يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية دل على ذلك الكتاب والسنة وهدى السلف.
٤. أن الإيمان بالله يتضمن الإيمان بربوبيته: وأنه هو الخالق المالك المدبر قال عَزَّجَلَّ ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [سورة الفاتحة: آية ٢]، وألوهيته: وأن هو المستحق وحده للعبادة دون سواه، قال

(١) رواه البخاري ٢٦ ومسلم ٨٣.

سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَالنَّهْكَمُ لِلَّهِ وَالْحُجْدُ لَآ إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ [سورة البقرة: آية ١٦٣]. والإيمان بأسمائه وصفاته سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وإثباتها على الوجه اللائق بجلاله من غير تحريف ولا تعطيل ولا تكييف ولا تمثيل ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [سورة الشورى: آية ١١].

٥. أما الإيمان برسوله فهو التصديق برسالته نبيه محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ واتباعه وطاعته ومحبته والعمل وفق هديه وشريعته فهو رسول الله إلى جميع الخلق وقد أوجب الله اتباعه وطاعته على الثقلين من الجن والإنس قال تعالى ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ [سورة الأعراف: آية ١٥٨] وقال تعالى ﴿مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾ [سورة النساء: آية ٨٠] وهو سيد المرسلين وخاتم النبيين قال عَزَّجَلَّ ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾ [سورة الأحزاب: آية ٤٠].

٦. عظيم منزلة الجهاد في سبيل الله وفضله فهو ذروة سنام الإسلام حيث جاء في الرتبة الثانية بعد الإيمان وهو من صلاحيات واختصاصات ولاية الأمر كما جاء في الكتاب والسنة وكما هو مقرر في السياسة الشرعية.



﴿٢﴾ التوحيد موجب لدخول الجنة والشرك موجب لدخول النار ﴿﴾

عن جابر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: (جاء أعرابي إلى النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: يا رسول الله ما الموجدتان؟ قال: من مات لا يشرك بالله شيئاً دخل الجنة، ومن مات يشرك به شيئاً دخل النار)^(١).

﴿ من فوائد الحديث والفتوى النبوية الكريمة : ﴾

١. يبين صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في هذه الفتيا أسوأ عواقب الشرك وأشنعها، ألا وهو ولوج النار، والخلود فيها، وهذا أمر مجمع عليه عند أهل السنة «أن من مات على الشرك لا يدخل الجنة، ولا يناله من الله رحمة، ويخلد في النار أبد الآباد، من غير انقطاع عذاب، ولا تصرف آباد، وهذا معلوم ضروري من الدين»^(٢).

كما قال تعالى ﴿إِنَّهُ، مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ﴾ (سورة المائدة: آية ٧٢).

٢. أن من مات على التوحيد «إن لم يكن صاحب كبيرة... مصراً عليها دخل الجنة أولاً، وإن كان صاحب كبيرة مات مصراً عليها فهو تحت المشيئة، فإن عفي عنه دخل الجنة أولاً، وإلا عذب ثم أخرج من النار، وخلد في الجنة»^(٣).

(١) رواه مسلم ٩٣.

(٢) المفهم للقرطبي ١/ ٢٩٠.

(٣) المنهاج في شرح صحيح مسلم (١/ ٣٧٤).

٣. يدل لذلك حديث أبي ذر عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قال: «أتاني جبريل، فبشرني أنه من مات من أمتك لا يشرك بالله شيئاً دخل الجنة». قلت: وإن زنى وإن سرق؟ قال: «وإن زنى وإن سرق»^(١).

كما جاء ذلك صريحاً في القرآن الكريم قال تعالى ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ افْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا﴾ [سورة النساء: آية ٤٨].



(١) رواه البخاري ١٢٣٧ ومسلم ٩٤.

﴿٣﴾ الإخلاص أصل الدين ﴿﴾

عن أبي موسى قال: سئل رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن الرجل يقاتل شجاعة، ويقاتل حمية، ويقاتل رياء، أي ذلك في سبيل الله؟ فقال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله»^(١).

من فوائد هذه الفتوى النبوية :

١. لما كانت المقاصد لأداء الأعمال تتفاوت، والنيات تختلف، ولا سبيل للعلم بالمحسوب منها لله تعالى من غيره إلا عن طريق أنبيائه ورسله، رفع استفتاء من أحد الصحابة للنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هذه المسألة؛ ليتبين المشروع منها فيقصده، وما سواه فيجتنبه.

٢. الإخلاص لله تعالى أصل الدين، وقاعدته التي عليها المعول، وأساس الطريق إلى المولى، وعليه مدار صحة الأعمال ولا صحة للعبادة ولا قبول لها بلا إخلاص لله ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ﴾ [سورة البينة: آية ٥] ومتابعة لرسول الله ﴿وَمَا آتَاكُمْ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾ [سورة الحشر: آية ٧] وهذان هما شرط قبول الأعمال وهما مقتضى الشهادتين.

٣. قال الحافظ تعليقا على هذه الفتوى النبوية «وفي إجابة النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بما ذكر غاية البلاغة والإيجاز، وهو من جوامع كلمه؛ لأنه لو أجابه بأن ما ذكره ليس في سبيل الله احتمال أن يكون ما عدا ذلك كله في سبيل

(١) رواه البخاري (١٢٣) ومسلم (١٩٠٤).

الله، وليس كذلك، فعدل إلى لفظ جامع عدل به عن الجواب عن ماهية القتال إلى حال القتال، فتضمن الجواب وزيادة»^(١).

٤ . قال السعدي: وقوله في حديث أبي موسى «سئل رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن الرجل يقاتل شجاعة» أي ليس له مقصد لا حسن ولا سئى، وإنما يحمله على القتال محبه للشجاعة فقط، و«يقاتل حمية»؛ أي: لقومه، أو لأهل مذهبه؛ أي: حمية جاهلية، لا دينية، و«يقاتل رياء»؛ أي: ليرى مكانه، ويقال: هو شجاع، وهذا قصده سئى - وقوله: «أي ذلك في سبيل الله؟»؛ أي: من هو الذي يعد منهم مقاتلا في سبيل الله فلما لم يكن منهم أحد بهذه المثابة، ذكر المجاهد في سبيل الله بعبارة جامعة مانعة؛ فقال عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «من قاتل لتكون كلمة هي العليا فهو في سبيل الله» أي: من كان هذا قصده، وأما غير ذلك من المقاصد، فلا يكون جهادا في سبيل الله^(٢).

فجاءت فتياه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جامعة وقاطعة لكل إرادة سيئة ومقصد دنيء بقوله: «من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله» وهكذا فالواجب على المسلم إخلاص أعماله كلها صغيرها وكبيرها وكثيرها وقليلها لله عَزَّوَجَلَّ حتى تكون مقبولة ونافعة في الدنيا والآخرة.



(١) فتح الباري ٦/٢٨.

(٢) شرح عمدة الأحكام لعبدالرحمن السعدي ص ٨٤٣.

﴿٤﴾ مراتب الدين ثلاثة (الإسلام والإيمان والإحسان)

عن عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: (بينما نحن جلوس عند رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذات يوم إذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب، شديد سواد الشعر، لا يرى عليه أثر السفر، ولا يعرفه منا أحد، حتى جلس إلى النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فأسند ركبتيه إلى ركبتيه، ووضع كفيه على فخذيه، وقال: يا محمد، أخبرني عن الإسلام، فقال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدا رسول الله، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصوم رمضان، وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلا، قال: صدقت، فعجبنا له: يسأله ويصدقه. قال: فأخبرني عن الإيمان، قال: أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره، قال: صدقت، قال: فأخبرني عن الإحسان، قال: أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك، قال: فأخبرني عن الساعة، قال: ما المسؤول عنها بأعلم من السائل، قال: فأخبرني عن أماراتها، قال: أن تلد الأمة ربتها، وأن ترى الحفاة العراة العالة رعاء الشاء يتطاولون في البنيان، ثم انطلق، فلبث مليا، ثم قال: يا عمر، أتدري من السائل؟ قلت: الله ورسوله أعلم، قال: فإنه جبريل أتاكم يعلمكم دينكم)^(١).

من فوائد الفتوى النبوية الكريمة :

١ . تضمنت هذه الفتوى النبوية الدين كله بمراتبه الثلاث الإسلام والإيمان

(١) رواه مسلم. رقم ٩٣.

والإحسان فهذا الحديث عظيم القدر كبير الشأن جامع لأبواب الدين كله فهو "أم السنة" وينبغي التفقه فيه وتعلمه وتعليمه ومدارسته فقد حوى أصول الإسلام وقواعده الكبرى.

٢. قال النووي رَحِمَهُ اللهُ "واعلم أن هذا الحديث يجمع أنواعا من العلوم والمعارف والآداب واللطائف بل هو أصل الإسلام".

٣. فيه أن مراتب الدين ثلاثة وهي الإسلام والإيمان والإحسان ولكل مرتبة أركان كما هو مبين في هذه الفتوى النبوية الجامعة التي أجاب فيها النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على أسئلة جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ.

٤. الإسلام: هو الاستسلام لله بالتوحيد والانقياد له بالطاعة والبراءة من الشرك وأهله وأركانه خمسة: الشهادتان والصلاة والزكاة والصيام والحج، والشهادتان: هما شهادة لا إله إلا الله ومعناها: لا معبود بحق إلا الله وشهادة أن محمدا رسول الله ومعناها: التصديق بالقلب والنطق باللسان بأن محمد بن عبد الله الهاشمي القرشي عبد الله ورسوله إلى الجن والإنس ﴿قُلْ يَأَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ [سورة الأعراف: آية ١٥٨] وتصديقه فيما أخبر وطاعته فيما أمر واجتناب ما نهى عنه وزجر وألا يعبد الله إلا بما شرع.

٥. الإسلام والإيمان إذا اجتمعا افترقا وإذا افترقا اجتمعا أي إذا اجتمع الإسلام والإيمان في سياق واحد فالمراد بالإسلام الأعمال الظاهرة الصلاة والحج ونحوها وبالإيمان الاعتقادات الباطنة بالإيمان بالله وملائكته...، فإذا اجتمعا افترقا وإذا افترقا فجاء كل واحد لوحده اجتمعا فدل كل واحد منهما على الآخر واشتمل عليه.

٦. وهذا شرح موجز لأركان الإيمان لأهميتها ولأن عقيدة المسلم قائمة على الإيمان بهذه الأصول الستة:

١) الإيمان بالله عزَّوَجَلَّ:

وهو الاعتقاد الجازم بأنه رب كل شيء ومليكه وأنه متصف بصفات الكمال منزّه عن كل عيب ونقص وأنه المستحق للعبادة وحده لا شريك له والقيام بذلك علماً وعملاً.

٢) الإيمان بالملائكة:

أي التصديق بوجودهم وأنهم كما وصفهم الله في كتابه ﴿بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ﴾ (٣٦) لَا يَسْئُرُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرٍ وَعَمَلُونَ ﴿٢٧﴾ [سورة الأنبياء: آية ٢٦-٢٧] وقد دل الكتاب والسنة على أصناف الملائكة وأوصافهم وأنهم موكلون بأعمال يؤدونها كما أمرهم الله فيجب الإيمان بذلك كله، ومنهم جبريل الموكل بالوحي وإسرافيل الموكل بالنفخ بالصور.

٣) الإيمان بالكتب:

أي التصديق بالكتب التي أنزلها الله على رسله؛ وأنها كلامه وأنها حق ونور وهدى فيجب الإيمان بما سمي الله منها كالتوراة والإنجيل والزابور والقرآن والإيمان بما لم يسم منها وأنها جميعها نسخت بالقرآن الكريم.

٤) الإيمان بالرسول:

الذين أرسلهم الله إلى خلقه أي التصديق بهم جميعاً وأنهم صادقون فيما أخبروا به وأنهم أبلغوا رسالات ربهم لا نفرق بين أحد منهم بل نؤمن بهم جميعاً



من سمي الله منهم في كتابه ومن لم يسم الله منهم كما قال تعالى: ﴿وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَرُسُلًا لَمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾ (١٦٤) [سورة النساء: آية ١٦٤].

وأفضلهم أولوا العزم وهم: نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد عليهم الصلاة والسلام. ثم بقية الرسل ثم الأنبياء وأفضل الجميع خاتم الأنبياء محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

قال تعالى: ﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ﴾ (سورة الشورى: آية ١٣).

وقال تعالى ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾ (سورة الأحزاب: آية ٤٠).

وقد جاء النص على أن الأنبياء لهم حظ من الإرسال قال الله تعالى ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ﴾ (سورة الحج: آية ٥٢) فالنبي مرسل مكلف مأمور بأن يعلم ويدعو.

والفرق بين النبي والرسول ذكره أهل العلم: أن الرسول بالمعنى الخاص من أرسل إلى قوم مكذبين والنبي من أرسل إلى قوم مؤمنين يعلمهم ويذكرهم (١).

٥) الإيمان بالبعث:

وهو التصديق بإخراج الموتى من قبورهم أحياء يوم القيامة لفصل القضاء

(١) انظر شرح حائية بن أبي داود للشيخ عبدالرحمن البراك.

بينهم ومجازاتهم بأعمالهم على الصفة التي بينها الله في كتابه وبينها الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

❖ (٦) الإيمان بالقدر خيره وشره:

وهو التصديق بأن الله سبحانه علم مقادير الأشياء وأزمانها قبل وجودها ثم كتبها في اللوح المحفوظ ثم أوجدها بقدرته ومشيتته في مواعيدها المقدرة فكل محدث من خير أو شر فهو صادر على علمه وتقديره ومشيتته وإرادته ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن ومراتب الإيمان بالقضاء والقدر: العلم، الكتابة، الخلق، المشيئة^(١).

❖ (٧) الإحسان أعلى مراتب الدين:

وهو أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك.

قال حافظ حكيمي في منظومة سلم الوصول:

مرتبة الإحسان:

وثالث مرتبة الإحسان وتلك أعلاها لدى الرحمن
وهي رسوخ القلب في العرفان حتى يكون الغيب كالعيان

وقال حافظ حكيمي في معارج القبول بشرح سلم الوصول عن الإحسان: وقد فسره النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تفسيراً لا يستطيعه من المخلوقين أحد غيره صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لما أعطاه الله تعالى من جوامع الكلم، فقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك» أخبر صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن مرتبة الإحسان

(١) انظر شرح العقيدة الواسطية للشيخ صالح الفوزان.

على درجتين، وأن للمحسنين في الإحسان مقامين متفاوتين:

المقام الأول: وهو أعلاهما، أن تعبد الله كأنك تراه، وهذا مقام المشاهدة، وهو أن يعمل العبد على مقتضى مشاهدته الله عَزَّجَلَّ بقلبه، وهو أن يتنور القلب بالإيمان، وتنفذ البصيرة في العرفان حتى يصير الغيب كالعيان، فمن عبد الله عز وجل على استحضار قربه منه، وإقباله عليه، وأنه بين يديه كأنه يراه، أوجب له ذلك الخشية والخوف والهيبة والتعظيم.

المقام الثاني: مقام الإخلاص، وهو أن يعمل العبد على استحضار مشاهدة الله إياه، وإطلاعه عليه وقربه منه، فإذا استحضر العبد هذا في عمله وعمل عليه، فهو مخلص لله تعالى لأن استحضاره ذلك في عمله، يمنعه من الالتفات إلى غير الله وإرادته بالعمل، وهذا المقام هو الوسيلة الموصلة إلى المقام الأول، ولهذا أتى به النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تعليلاً للأول، فقال: «فإن لم تكن تراه فإنه يراك»^(١).



(١) (انظر معارج القبول لابن القيم).

﴿٥﴾ الدين النصيحة ﴿﴾

عن تميم الداري رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: (الدين النصيحة) قلنا لمن؟، قال: (لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم)»^(١).

هذا الحديث: عليه مدار الإسلام.

ومعنى الحديث: عماد الدين وقوامه النصيحة

قال أبو عمرو بن الصلاح: النصيحة كلمة جامعة تتضمن قيام الناصح للمنصوح له بوجوه الخير، إرادة وفعلاً.

﴿١﴾ أما النصيحة لله تعالى:

فهي الإيمان به، ونفي الشريك عنه، ووصفه بصفات الكمال، والقيام بطاعته، واجتناب معصيته، والحب فيه، والبغض فيه، وشكره على نعمه
قال الخطابي: "معنى النصيحة لله سبحانه: صحة الاعتقاد في وحدانيته، وإخلاص النية في عبادته"^(٢).

وقال ابن الجوزي رَحِمَهُ اللهُ: "النصيحة لله عَزَّوَجَلَّ: المناضلة عن دينه والمدافعة عن الإشراف به، وإن كان غنياً عن ذلك، لكن نفعه عائد على العبد"^(٣).

(١) رواه مسلم في "صحيحه" (٥٥).

(٢) جامع العلوم والحكم (١/ ٢٢٩).

(٣) كشف المشكل (٤/ ٢١٩).

❁ (٢) وأما النصيحة لكتابه :

فتكون بالإيمان به، وبتلاوته، وتدبر آياته، والاتعاظ بمواعظه، والوقوف عند حدوده، بامثال أوامره واجتناب نواهيه. وقيل هو الإيمان بأنه تنزيله، وتلاوته، والعمل به، وتفهم علومه وأمثاله

وقال الشيخ ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ: "النصيحة لكتابه تتضمن أموراً منها:

الأول: الذب عنه، بأن يذب الإنسان عنه تحريف المبطلين، ويبين بطلان تحريف من حرف.

الثاني: تصديق خبره تصديقاً جازماً لا مربية فيه، فلو كذب خبراً من أخبار الكتاب لم يكن ناصحاً، ومن شك فيه وتردد لم يكن ناصحاً.

الثالث: امتثال أوامره، فما ورد في كتاب الله من أمر فامتثله، فإن لم تمتثل لم تكن ناصحاً له.

الرابع: اجتناب ما نهى عنه، فإن لم تفعل لم تكن ناصحاً.

الخامس: أن تؤمن بأن ما تضمنه من الأحكام هو خير الأحكام، وأنه لا حكم أحسن من أحكام القرآن الكريم.

السادس: أن تؤمن بأن هذا القرآن كلام الله عَزَّوَجَلَّ حروفه ومعناه، تكلم به حقيقة، وتلقاه جبريل من الله عَزَّوَجَلَّ ونزل به على قلب النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ليكون من المنذرين بلسان عربي مبين" (١).

(١) شرح الأربعين النووية (ص ١١٦).

٣) وأما النصيحة لرسوله :

فهي تصديقه، وطاعته ونصر سنته، قال ابن رجب رَحِمَهُ اللهُ: "والنصيحة لرسوله: قريب من ذلك؛ الإيمان به وبما جاء به، وتوقيره وتبجيله، والتمسك بطاعته، وإحياء سنته، واستثارة علومها، ونشرها، ومعاداة من عاداه وعاداه، وموالاة من والاه ووالاه، والتخلق بأخلاقه، والتأدب بآدابه، ومحبة آله وصحابته، ونحو ذلك" (١).

وقال الشيخ ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ: "النصيحة لرسوله تكون بأمر منها:

الأول: تجريد المتابعة له، وأن لا تتبع غيره، لقول الله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ [سورة الأحزاب: آية ٢١].

الثاني: الإيمان بأنه رسول الله حقاً، لم يكذب، ولم يكذب، فهو رسول صادق مصدوق.

الثالث: أن تؤمن بكل ما أخبر به من الأخبار الماضية والحاضرة والمستقبلية.

الرابع: أن تمثل أمره.

الخامس: أن تجتنب نهيه.

السادس: أن تذب عن شريعته.

السابع: أن تعتقد أن ما جاء عن رسول الله، فهو كما جاء عن الله تعالى، في لزوم العمل به، لأن ما ثبت في السنة، فهو كالذي جاء في القرآن.

(١) جامع العلوم والحكم (١/ ٢٣٣).



الثامن: نصره النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إن كان حيا: فمعه وإلى جانبه، وإن كان ميتا: فنصرة سنته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ^(١).

❁ (٤) أما نصيحة أئمة المسلمين:

معاونتهم على الحق، وطاعتهم، وتنبههم، وتذكيرهم برفق، وترك الخروج عليهم، والدعاء لهم.

قال النووي رَحِمَهُ اللَّهُ: "معاونتهم على الحق، وطاعتهم فيه وأمرهم به، وتنبههم وتذكيرهم برفق ولطف، وإعلامهم بما غفلوا عنه ولم يبلغهم من حقوق المسلمين، وترك الخروج عليهم، وتألف قلوب الناس لطاعتهم، قال الخطابي رَحِمَهُ اللَّهُ: ومن النصيحة لهم: الصلاة خلفهم، والجهاد معهم، وأداء الصدقات إليهم، وترك الخروج بالسيف عليهم إذا ظهر منهم حيف أو سوء عشرة، وأن لا يغروا بالثناء الكاذب عليهم، وأن يدعى لهم بالصلاح"^(٢).

وقال ابن رجب رَحِمَهُ اللَّهُ: "النصيحة لأئمة المسلمين: معاونتهم على الحق، وطاعتهم فيه، وتذكيرهم به، وتنبههم في رفق ولطف، ومجانبة الثوب عليهم، والدعاء لهم بالتوفيق، وحث الأغيار على ذلك"^(٣).

❁ (٥) وأما النصيحة للمسلمين:

والنصيحة لعامتهم: إرشادهم لمصالحهم في دينهم ودنياهم، وإعانتهم وستر عوراتهم، وأمرهم بالمعروف، ونهيهم عن المنكر برفق.

(١) شرح الأربعين النووية للعثيمين (ص ١١٧).

(٢) شرح النووي على مسلم (٢ / ٣٨).

(٣) جامع العلوم والحكم (١ / ٢٣٣).



قال ابن رجب رَحْمَةُ اللَّهِ: "وأما النصيحة للمسلمين: فأن يحب لهم ما يحب لنفسه، ويكره لهم ما يكره لنفسه، ويشفق عليهم، ويرحم صغيرهم، ويوقر كبيرهم، ويحزن لحزنهم، ويفرح لفرحهم، وإن ضره ذلك في دنياه، كرخص أسعارهم، وإن كان في ذلك فوات ربح ما يبيع في تجارته، وكذلك جميع ما يضرهم عامة، ويحب ما يصلحهم، وألفتهم ودوام النعم عليهم، ونصرهم على عدوهم، ودفع كل أذى ومكروه عنهم"^(١).



(١) جامع العلوم والحكم (ص ٨٠).

﴿٦﴾ أسعد الناس بشفاعته النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ﴿٦﴾

عن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أنه قال (قيل يا رسول الله من أسعد الناس بشفاعتك يوم القيامة قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لقد ظننت يا أبا هريرة أن لا يسألني عن هذا الحديث أحد أول منك لما رأيت من حرصك على الحديث أسعد الناس بشفاعتي يوم القيامة من قال لا إله إلا الله خالصاً من قلبه أو نفسه)^(١).

١- التوحيد سبب نيل الشفاعة - ومن المقامات العظيمة يوم القيامة التي رفع الله قدر نبيه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بها، وأعلى منزلته بين عباده بسببها، وظهر بها شفقتة على أمته وحرصه عليها، مقام الشفاعة.

٢- لما كان فضل هذا المقام راسخاً في قلوب المؤمنين، ونفوسهم تتطلع لنيل هذا الشرف العظيم، استفتي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن الوصف الذي يكون به طالب شفاعته مستحقاً لها، وأسعد الناس بها.

٣- ودلت هذه الفتيا على أن حصول شفاعته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ متوقف على توحيد الله وتحقيق إخلاص العبادة له، فهو سببها والسييل لنيلها فإنه كلما كان العبد أقوى إيماناً، وأعظم إخلاصاً، وأتم عبادة كان بشفاعته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أحق، وإليها أقرب، وبها أسعد قال الشوكاني فيه دليل على أن قائل هذه الكلمة: «لا إله إلا الله، هو أسعد الناس بالشفاعة النبوية، لكن مقيد بأن يقول ذلك خالصاً، لا إذا قالها من دون خلوص»^(٢).

(١) رواه البخاري برقم ٩٩.

(٢) تحفة الذاكرين (٢٩٠).

٤- قال الإمام ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ عند شرحه لهذا الحديث^(١): «وتأمل قول النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لأبي هريرة، وقد سأله: من أسعد الناس بشفاعتك يا رسول الله فقال: «أسعد الناس بشفاعتي من قال لا إله إلا الله خالصاً من قلبه»، كيف جعل أعظم الأسباب التي بها تنال شفاعته تجريد التوحيد، بخلاف ما عند المشركين من أن الشفاعة تنال باتخاذهم أولياءهم شفعاء، وعبادتهم وموالاتهم من دون الله، فقلب النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ما في زعمهم الكاذب، وأخبر أن سبب الشفاعة هو تجريد التوحيد فحينئذ يأذن الله للشافع أن يشفع، ومن جهل المشرك اعتقاده أن من اتخذه ولياً أو شفيعاً أنه يشفع له وينفعه عند الله، كما يكون خواص الولاية والملوك تنفع من والاهم، ولم يعلموا أنه لا يشفع عنده أحد إلا بإذنه في الشفاعة، ولا يأذن في الشفاعة إلا لمن رضي قوله وعمله، كما قال في الفصل الأول: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾ [سورة البقرة: آية ٢٥٥].

وفي الفصل الثاني: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنْ ارْتَضَى﴾ [سورة الأنبياء: آية ٢٨]، وبقي فصل ثالث، وهو أنه لا يرضى من القول والعمل إلا توحيده واتباع رسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فهذه ثلاثة فصول تقطع شجرة الشرك من قلب من عقلها ووعاها. وقال الله جَلَّ جَلَالُهُ: ﴿قُلْ أَدْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِنْ شِرْكٍَ وَمَا لَهُمْ مِنْ ظَهِيرٍ﴾ (٢٢) وَلَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ. [سورة سبأ: آية ٢٢-٢٣].

٥- قال أبو العباس ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ: نفي الله عما سواه كل ما يتعلق به المشركون، فنفى أن يكون لغيره ملك أو قسط منه، أو يكون عوناً لله، ولم يبق

(١) مدارج السالكين (١/ ٣٤١).

إلا الشفاعة، فبين أنها لا تنفع إلا لمن أذن له الرب، كما قال: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى﴾ [سورة الأنبياء: آية ٢٨]، فهذه الشفاعة التي يظنها المشركون هي منتفية يوم القيامة كما نفاها القرآن، وأخبر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه «يأتي فيسجد لربه ويحمده لا بالشفاعة أولاً، ثم يقال له: ارفع رأسك وقل يسمع وسل تعط واشفع تشفع»^(١). وقال أبو هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: من أسعد الناس بشفاعتك؟ قال: «من قال: لا إله إلا الله خالصاً من قلبه»^(٢) فتلك الشفاعة لأهل الإخلاص بإذن الله، ولا تكون لمن أشرك بالله.

وحقيقته: أن الله سبحانه هو الذي يتفضل على أهل الإخلاص فيغفر لهم بواسطة دعاء من أذن له أن يشفع ليكرمه وينال المقام المحمود. فالشفاعة التي نفاها القرآن ما كان فيها شرك، ولهذا أثبت الشفاعة بإذنه في مواضع. وقد بين النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنها لا تكون إلا لأهل التوحيد والإخلاص. اهـ كلامه^(٣).

وقال ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: بل الشفاعة: سببها توحيد الله، وإخلاص الدين والعبادة بجميع أنواعها له فكل من كان أعظم إخلاصاً كان أحق بالشفاعة، كما أنه أحق بسائر أنواع الرحمة. فان الشفاعة: من الله مبدؤها، وعلى الله تمامها فلا يشفع أحد إلا بإذنه. وهو الذي يأذن للشافع. وهو الذي يقبل شفاعته في المشفوع له وإنما الشفاعة سبب من الأسباب التي بها يرحم الله من يرحم من عباده. وأحق الناس برحمته: هم أهل التوحيد والإخلاص له، فكل من كان أكمل في تحقيق إخلاص «لا إله إلا الله»، علماً وعقيدة. وعملاً وبراءة، وموالاتة ومعاداة: كان

(١) أخرجه البخاري (١٤٧١٢)، ومسلم (١٩٤).

(٢) رواه البخاري (٩٩).

(٣) مجموع الفتاوى (٧٧/٧-٧٨).

أحق بالرحمة»^(١).

٦- جاء في القرآن بيان حال من يطلب الشفاعة من غير الله عزَّجَلَّ وأن طلبهم هذا هو الشرك الذي يحرم به العبد من الشفاعة وهو نفسه فعل المشركين الأولين الذين قال الله تعالى عنهم ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شَفَعُونَا عِنْدَ اللَّهِ ۚ قُلْ أَتَنْبِئُونَ اللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ ۗ سُبْحَانَ اللَّهِ، وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [سورة يونس: آية ١٨].

وقال عزَّجَلَّ ﴿اللَّهِ الدِّينَ الْخَالِصُ ۚ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ ۚ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَذِبٌ كَفَّارٌ﴾ [سورة الزمر: آية ٣].

٧- لهذه الفتيا النبوية شواهد تدعمها وتؤكد دلالتها، فإن «الأحاديث الصحيحة الواردة في الشفاعة كلها تبين أن الشفاعة إنما تكون في أهل لا إله إلا الله»^(٢).

ومن ذلك قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لكل نبي دعوة مستجابة، فتعجل كل نبي دعوته، وإني اختبأت دعوتي شفاعة لأمتي يوم القيامة فهي نائلة - إن شاء الله - من مات من أمتي لا يشرك بالله شيئاً»^(٣). فبين مما تقدم فضل التوحيد وكونه سبباً في الظفر بالشفاعة والسعادة به سعادة لا شقاء بعدها أبداً.

٨- وذكر أهل العلم أن الشفاعة ستة أنواع:

(١) مجموع الفتاوى (١٤/٤١٤).

(٢) مجموع الفتاوى (١٤/٤١٠).

(٣) مسلم مع شرح النووي - كتاب الإيمان - باب اختباء النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دعوة الشفاعة لأمته (٢/٧٦) رقم ١٩٩.

الأول: الشفاعة الكبرى التي يتأخر عنها أولو العزم عليهم الصلاة والسلام حتى تنتهي إليه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فيقول: أنا لها وذلك حين يرغب الخلائق إلى الأنبياء ليشفعوا لهم إلى ربهم حتى يريحهم من مقامهم في الموقف . وهذه شفاعة يختص بها لا يشركه فيها أحد.

الثاني: شفاعته لأهل الجنة في دخولها. وقد ذكرها أبو هريرة في حديثه الطويل المتفق عليه.

الثالث: شفاعته لقوم من العصاة من أمته قد استوجبوا النار بذنوبهم، فيشفع لهم أن لا يدخلوها.

الرابع: شفاعته في العصاة من أهل التوحيد الذي يدخلون النار بذنوبهم . والأحاديث بها متواترة عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . وقد أجمع عليها الصحابة وأهل السنة قاطبة وبدعوا من أنكرها، وصاحوا به من كل جانب ونادوا عليه بالضلال.

الخامس: شفاعته لقوم من أهل الجنة في زيادة ثوابهم ورفع درجاتهم، وهذه مما لم ينزع فيها أحد . وكلها مختصة بأهل الإخلاص الذين لم يتخذوا من دون الله وليا ولا شفيعا، كما قال تعالى: ﴿ وَأَنْذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْ يُحْشَرُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُمْ مِنْ دُونِهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴾ [سورة الأنعام: آية ٥١].

السادس: شفاعته في بعض كفار من أهل النار حتى يخفف عذابه وهذه خاصة بأبي طالب وحده.

٩- وقد تناول العلماء هذه الفتوى بالشرح والبيان، وأوضحوا من خلال ذلك فضل التوحيد، وأثره على العبد في الرقي به إلى أعلى المنازل وأرفع الدرجات عند ربه جَلَّ وَعَلَا نسأل الله تعالى من فضله.

﴿٧﴾ الشرك أكبر الذنوب ﴿﴾

عن عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال سألت - أو سئل - رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أي الذنب عند الله أكبر؟ قال: أن تجعل لله ندا وهو خلقك. قلت: ثم أي؟ قال: ثم أن تقتل ولدك خشية أن يطعم معك. قلت: ثم أي؟ قال: أن تزاني بحليلة جارك. قال: ونزلت هذه الآية تصديقا لقول رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ﴾ [سورة الفرقان: آية ٦٨]. وفي رواية (سئل أي الذنب أعظم عند الله) (١).

١ - كشف صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بهذه الفتيا الجامعة عن هذه المسألة، وبين فيها أي تلك الذنوب أشد خطرا على العبد، وأعظم أثرا عليه، ألا وهو الشرك بالله تعالى، واتخاذ ند معه في العبادة وذلك من جهتين:

الأولى: تقديمه له على غيره من الذنوب، وتصديره الجواب به

الثانية: ورود الجواب على السائل بناء على الوصف الذي ذكره في استفتائه وهو كبر الذنب.

يضاف إلى هذا أمور أخرى يزداد بها هذا الوصف للشرك جلاء، ومنها تعرف حقيقة الشرك وقبحه، وبها تدرك شناعته وخبثه.

٢ - مخاطر ومساوء الشرك كثيرة منها أن الشرك أعظم الظلم، قال تعالى:

﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [سورة لقمان: آية ١٣].

(١) رواه البخاري ٤٧٦١ ومسلم مع شرح النووي رقم ٨٦.



و الشرك لا يغفره الله إذا لم يتب منه صاحبه، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ﴾ [سورة النساء: آية ٤٨].

و الجنة حرام على المشرك، وأنه خالد مخلد في النار، قال تعالى: ﴿إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ﴾ [سورة المائدة: آية ٧٢].

والشرك محبط لجميع الأعمال، قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [سورة الأنعام: آية ٨٨]، وقال تعالى لنبيه ﴿وَلَقَدْ أَوْحَىٰ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لِيَحْبِطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [سورة الزمر: آية ٦٥].

لأجل ذلك خشي نبي الله إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ من الشرك ودعا ربه أن يجنبه إياه فقال: ﴿وَأَجْنِبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ﴾ [سورة إبراهيم: آية ٣٥].

وإنما دعا إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ بذلك لأن كثيرا من الناس افتتنوا بها فخاف من ذلك ودعا الله أن يعافيه وبنيه من عبادتها!

فإذا كان إبراهيم عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ يسأل الله أن يجنبه ويجنب بنيه عبادة الأصنام فما ظنك بغيره؟!

قال إبراهيم التيمي: ومن يأمن البلاء بعد إبراهيم؟!

وهذا يوجب للقلب الحي أن يخاف من الشرك، ويحذر منه أشد الحذر فهو أعظم المخاطر وأخطر الشرور

٣- قال العلامة عبد الله بن عبد الرحمن أبا بطين: «وفي السنة الثابتة عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من التحذير عن الشرك والتشديد فيه ما لا يحصى، وغالب

الأحاديث التي يذكر فيها صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الكبائر يبدأها بالشرك»^(١).

٤ - قال العلامة محمد بن صالح العثيمين رَحِمَهُ اللهُ: قوله: (أن تجعل لله ندا وهو خلقك)، هذا هو أعظم الذنب، إذ كيف تجعل للذي خلقك وأوجدك، ولم يشاركه أحد في إيجادك، كيف تجعل له ندا تتقرب إليه كما تتقرب إلى الله، أو تستغيث به كما تستغيث بالله، أو ربما تعتقد أنه أبلغ في القدرة من الله عَزَّوَجَلَّ؟

وجعل الند لله يشمل الند في الدعاء، والند في الخلق، والند في الصفة، فأما الند في العبادة، فأن تنذر لغير الله، أو تسجد لغير الله، أو ترقع لغير الله.

وأما الند في الدعاء، فأن تدعو غير الله عَزَّوَجَلَّ لكشف الضر، وجلب النفع، كمن يدعو الرسول أو الولي أو صاحب القبر فقد قال عَزَّوَجَلَّ ﴿وَأَنَّ الْمَسْجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾ [سورة الجن: آية ١٨].

وأما الند في الصفات فأن يجعل أو صاف الله تعالى كأوصاف خلقه، فيمثل صفات الله بصفات خلقه، ويقول مثلاً: لله يد كأيدينا، أو وجه كوجوهنا، أو ما أشبه ذلك.



(١) مجموعة الرسائل والمسائل النجدية (٤/ القسم الثاني/ ٤٦٦).

﴿ (٨) التوحيد يورث الأمن التام والاهتداء التام ﴾

والشرك هو أظلم الظلم وأعظم الذنوب

عن عبدالله بن مسعود رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قال: لما نزلت هذه الآية: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾ [سورة الأنعام: آية ٨٢]، شق ذلك على أصحاب النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وقالوا: أينما لم يظلم نفسه؟! فقال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ليس كما تظنون؛ إنما هو كما قال لقمان لابنه: ﴿يَبْنَى لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [سورة لقمان: آية ١٣] (١).

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ: قال الله تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾ [سورة الأنعام: آية ٨٢] أي: هؤلاء الذين أخلصوا العبادة لله وحده لا شريك، له، ولم يشركوا به شيئاً هم الآمنون يوم القيامة، المهتدون في الدنيا والآخرة.

﴿ ومن فوائد الحديث والفتوى النبوية الكريمة: ﴾

١ - فهم الصحابة من هذه الآية الكريمة أن المراد بالظلم في الآية ظلم الإنسان نفسه بالذنوب بما دون الشرك فشق ذلك عليهم فسألوا رسول الله وقالوا أينما لم يظلم نفسه فبين لهم أن المراد بالظلم هنا هو الشرك وقال لهم في هذه الفتيا: ليس كما تظنون إنما هو كما قال لقمان لابنه ﴿يَبْنَى لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [سورة لقمان: آية ١٣].

(١) رواه البخاري ٦٩٣٧.

٢- يكون معنى الآية الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بـشرك، أولئك لهم الأمن وهم مهتدون، ففضل الذي آمن يعني وحده، لم يلبس إيمانه بـشرك، لم يلبس توحيد بـشرك، أن له الأمن التام والاهتداء التام في الدنيا والآخرة.

٣- فيه بيان خطورة الشرك وأن صاحبه محروم من الأمن والاهتداء ووجوب الحذر من الشرك كبيره وصغيره وأن من سلم منه نجى وأفلح وإن ناله شيء من العذاب على بعض ذنوبه فماله ومصيره ومستقره الجنة، قال تعالى ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ افْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا﴾ [سورة النساء: آية ٤٨].

٤- ارتفع بهذه الفتيا الكريمة ماشق عليهم وزال ما حل بهم إذ بفتياه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تبين المقصود وظهر المراد.



﴿٩﴾ الأنبياء دينهم واحد وهو التوحيد

والدعوة إليه وشرائعهم مختلفة

عن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: سمعت رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «أنا أولى الناس بعيسى ابن مريم في الأولى والآخرة»، قالوا: كيف يا رسول الله؟ قال: «الأنبياء إخوة من علات وأمهااتهم شتى، ودينهم واحد فليس بيننا نبي»^(١).

قال النووي رَحِمَهُ اللهُ فِي شرحه لصحيح مسلم: جمهور العلماء معنى الحديث اصل ايمانهم واحد وشرائعهم مختلفة فانهم متفقون في اصول التوحيد واما فروع الشرائع فوقع فيها الاختلاف واما قوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ودينهم واحد فالمراد به اصول التوحيد واصل طاعة الله تعالى وان اختلفت صفتها واصل التوحيد والطاعة جميعا واما قوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (وانا اولى الناس بعيسى) فمعناه اخص به.

فاشتمل جوابه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على السؤال الموجه إليه عن وجه أولييته بعيسى ابن مريم على أمرين:

الأول: قدر مشترك، ورابط عام بين دعوات الأنبياء، وهو الاتفاق على التوحيد.

الثاني: أمر يجمع بينه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وبين عيسى وهو قرب العهد بينهما، ومعنى الفتيا أن "الأنبياء كلهم متساوون فيما بعثوا لأجله من أصل التوحيد،

(١) متفق عليه، واللفظ لمسلم أخرجه البخاري ٣٤٤٣ ومسلم ٢٣٦٥ (١٤٥).

وليس لأحد اختصاصه فيه، لكن أنا أخص الناس بعيسى؛ لأنه كان مبشرا بي قبل بعثتي، وممهدا لقواعد ملتي، ثم آخر الزمان متابع لشريعتي، وناصر لديني، فكأننا واحد" (١).

ووجه الإطلاق على الأنبياء بأنهم إخوة من علات هو "أن النبي شبه دين الأنبياء الذي اتفقوا عليه من التوحيد الذي هو عبادة الله وحده لا شريك له، والإيمان به وبملائكته وكتبه ورسله ولقائه بالأب الواحد؛ لاشتراك جميعهم فيه، وهو الدين الذي شرعه الله لأنبيائه كلهم . . . وأما شرائع الأعمال والمأمورات فقد تختلف، فهي بمنزلة الأمهات الشتى التي كان لقاح تلك الأمهات من أب واحد، كما أن مادة تلك الشرائع المختلفة من دين واحد متفق عليه" (٢).

ولهذه الفتيا النبوية الكريمة شواهد عديدة منها: قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [سورة النحل: آية ٣٦]. وأما اختلاف الشرائع فدليله قوله تعالى: ﴿لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾ [سورة المائدة: آية ٤٨] إذا: زبدة دعوة الرسل وخلاصتها: الأمر بعبادة الله وحده، وإبطال عبادة ما سواه، بالنهاي عنها، والتحذير منها.



(١) الكاشف عن حقائق السنن ١١ / ٣٦٢١ وانظر فتاوى النبي في العقيدة ليوסף الحمادي ١ / ٤٣٢.

(٢) انظر بدائع الفوائد لابن القيم ٣ / ٢٠١.

﴿ (١١) هل نرى ربنا يوم القيامة؟ ﴾

عن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أن ناساً في زمن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قالوا: يا رسول الله، هل نرى ربنا يوم القيامة؟ قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «نعم، هل تضارون في رؤية الشمس بالظهيرة صحوا ليس معها سحب؟ وهل تضارون في رؤية القمر ليلة البدر صحوا ليس فيها سحب؟». قالوا: لا. قال: «ما تضارون في رؤية الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى إِلَّا كَمَا تَضَارُونَ فِي رُؤْيَا أَحَدِهِمَا»^(١).

في هذه الفتيا يجلي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ السؤال عن هذه المسألة الجليّة، ويقررها أحسن تقرير، ويبينها أكمل بيان، ويقرر بكل وضوح أن المؤمنين يرون ربهم يوم القيامة.

قال ابن كثير في التفسير رَحِمَهُ اللهُ: ﴿إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾^(٢٣) [سورة القيامة: آية ٢٣] أي: تراه عياناً، كما رواه البخاري، رَحِمَهُ اللهُ، في صحيحه: «إنكم سترون ربكم عياناً». وعن الحسن: ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّازِرَةٌ﴾^(٢٤) [سورة القيامة: آية ٢٢] قال: حسنة، ﴿إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾^(٢٥) [سورة القيامة: آية ٢٣] قال تنظر إلى الخالق، وحق لها أن تنظر وهي تنظر إلى الخالق.

وقال البغوي في تفسيره: ومذهب أهل السنة: إثبات رؤية الله عَزَّ وَجَلَّ عياناً جاء به القرآن والسنة، قال الله تعالى: ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّازِرَةٌ﴾^(٢٦) ﴿إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾^(٢٧) [سورة القيامة: آية ٢٢].

(١) رواه البخاري مع الفتح - كتاب التوحيد - باب قول الله تعالى: «وجوه يومئذ نازرة» (١٣/٤٢٠) رقم ٧٤٣٩، ومسلم مع شرح النووي - كتاب الإيمان - باب معرفة طريق الرؤية (٢/٢٤) رقم ١٨٣..



وأحاديث الرؤية متواترة، رواها أكثر من ثلاثين من الصحابة.

قال الذهبي رَحِمَهُ اللهُ: «وأما رؤية الله تعالى في الآخرة فأمر متيقن تواترت به النصوص، جمع أحاديثها الدارقطني والبيهقي وغيرهما».

قال في ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ في العقيدة الواسطية: وقد دخل أيضا فيما ذكرناه من الإيمان به وبكتبه وبملائكته وبرسله الإيمان بأن المؤمنين يرونه يوم القيامة عيانا بأبصارهم كما يرون الشمس صحوا ليس بها سحب، وكما يرون القمر ليلة البدر لا يضامون في رؤيته، يرونه سبحانه وهم في عرصات القيامة، ثم يرونه بعد دخول الجنة كما يشاء الله تعالى.

وأما السبيل إلى رؤية الله عَزَّجَلَّ فعلينا بالتالي:

١. أن يموت العبد على دين الإسلام، فالكافر لا يرى الله تعالى، كما

قال تعالى ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ ﴿١٥﴾﴾ [سورة المطففين: آية ١٥]، فالكافر محجوب عن رؤية ربه وحين سئل الإمام مالك عن هذه الآية قال: لما حجب الله تعالى أعدائه فلم يروه، تجلى لأوليائه فرأوه.

٢. الإحسان في الإسلام، فالله تعالى يقول: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾

[سورة يونس: آية ٢٦] فمن أحسن فله الحسنى وهي الجنة، وله الزيادة وهي النظر إلى وجه الله تعالى.

٣. الدعاء بأن ترزق النظر إلى وجهه تعالى، فرسول الخلق وحبيب الحق

سيدنا محمد بن عبد الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان يدعو الله ويقول: (وأسألك

لذة النظر إلى وجهك والشوق إلى لقاءك)^(١).

(١) حديث عمار بن ياسر الذي أخرجه النسائي بسند حسن.





٤. المحافظة على الصلوات كاملة، وبالأخص صلاة الفجر والعصر.
٥. الابتعاد عن الذنوب والمعاصي.
٦. محبة لقاء الله ورؤيته وجهه عزَّجَلَّ فلقد قال محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه، ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه)^(١).



(١) أخرجه البخاري.



﴿١٢﴾ لا بأس بالرقى ما لم يكن فيها شرك ﴿﴾

عن عوف بن مالك الأشجعي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ كنا نرقى في الجاهلية، فقلنا: يا رسول الله، كيف ترى في ذلك؟ فقال: اعرضوا علي رقاكم، لا بأس بالرقى ما لم يكن فيه شرك^(١).

كان الصحابة رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ قبل إسلامهم يرقون في الجاهلية، فسألوا النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن هذا النوع من الرقية، وهل هي مما يقرها النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أم يحرمها؟ فأجابهم صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «اعرضوا علي رقاكم» ليتبين وينظر فيما يقال فيها، ثم ذكر حكماً عاماً وقاعدة تضبط هذا الباب، فقال: «لا بأس بالرقى ما لم يكن فيه شرك» والمعنى: لا حرج ولا مانع من الرقية ما لم يكن فيها كفر بالله، أو شيء من كلام أهل الشرك الذي لا يوافق أصول الشريعة كأن يكون فيها دعاء لغير الله أو استغاثة بمخلوق فإن ذلك محرم؛ فجازت الرقية من كل الآفات؛ من الأمراض والجراح والقروح والحمة والعين وغير ذلك، إذا كانت الرقى بما يفهم، ولم يكن فيه شرك ولا شيء ممنوع.

فصارت فتوى النبي هذه قاطعة في بيان ما يحل من الرقى وما يحرم.

قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللهُ: (وقد أجمع العلماء على جواز الرقى عند اجتماع ثلاثة شروط:

١. أن تكون بكلام الله تعالى أو بأسمائه وصفاته.

(١) رواه مسلم ٢٢٠٠.

٢. وأن تكون باللسان العربي، أو بما يعرف معناه من غيره.
٣. وأن يعتقد أن الرقية لا تؤثر بذاتها، بل بتقدير الله تعالى^(١).



(١) (فتح الباري ١٠ / ١٩٥).

﴿ (١٣) حكم الكهانة والكهان ﴾

عن عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قالت: سألت أناس رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن الكهان؟ فقال لهم رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «ليسوا بشيء». قالوا: يا رسول الله، فإنهم يحدثون أحيانا الشيء يكون حقا؟ قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «تلك الكلمة من الجن يخطفها الجني، فيقرها في أذن وليه قر الدجاجة، فيخلطون فيها أكثر من مائة كذبة»^(١).

فبين هذه الفتيا حقيقة الكهانة، وما عليه الكهان، وأن أمرهم باطل لا حقيقة له يرتكز عليها، فهم يمتزلة المعلوم الذي لا فائدة فيه، ولا منفعة منه، وعليه فإن تصديقهم إجرام وسؤالهم حرام وإن تحققت به بعض المطالب وقضيت به بعض الحوائج^(٢).

هذا ما يقتضيه ويدل عليه عموم قوله: «ليسوا بشيء»، إلا أن بعض الصحابة قد أورد إشكالا على هذا العموم فقال «فإنهم يحدثون أحيانا الشيء يكون حقا؟». وسبب نشوء هذا الإشكال «لأنه فهم منه أنهم لا يصدقون أصلا، فأجابه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن سبب ذلك التصديق، وأنه إذا اتفق أن يصدق لم يتركه خالصا، بل يشوبه بالكذب»^(٣). وذلك في قوله: «تلك الكلمة من الجن يخطفها الجني

(١) البخاري مع الفتح (١٠/٢١٦) رقم ٧٦٢ ومسلم مع شرح النووي (٤٨٢٧) رقم ٢٢٢٨.

(٢) انظر: إكمال المعلم بفوائد مسلم (٧/١٥٤)، شرح السنة للبغوي (١٢/٨١) والمنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج (٧/٤٨٥)، ومجموع الفتاوى لابن تيمية (٢٥/١٥٦)، والرد على البكري له أيضا (١/٤٤٧).

(٣) فتح الباري ٢١٩/١٠ وانظر زاد المعاد ٥/٧٨٧.



فيقرها في أذن وليه قر الدجاجة، فيخلطون فيها أكثر من مائة كذبة.

والمقصود من هذا أنه لا يجوز سؤالهم، ولا تصديقهم، ولو قدر أنهم قد يصدقون في كلمة، لكن يكذبون معها الشيء الكثير، مئة كذبة في الرواية، ويقذفون ويزيدون أكثر من مئة كذبة.

ثم إن مدعي علم الغيب كفار؛ لأن علم الغيب لا يعلمه إلا الله جلّ وعلا، فمن يدعي أنه يعلم الغيب فهو كافر ضال مضل.

روى مسلم في «صحيحه» عن بعض أزواج النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «من أتى عرافا فسأله عن شيء، لم تقبل له صلاة أربعين ليلة»^(١).

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «من أتى كاهنا، فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ»^(٢).

وعن عمران بن حصين مرفوعا: «ليس منا من تطير أو تطير له، أو تكهن أو تكهن له، أو سحر أو سحر له، ومن أتى كاهنا، فصدقه بما يقول، فقد كفر بما أنزل على محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ»^(٣).

العراف الذي يدعي معرفة الأمور بمقدمات يستدل بها على المسروق ومكان الضالة ونحو ذلك. وقيل هو الكاهن، والكاهن هو الذي يخبر عن المغيبات في المستقبل. وقيل الذي يخبر عما في الضمير.

(١) رواه مسلم.

(٢) رواه أبو داود.

(٣) رواه البزار بإسناد جيد.



وقال أبو العباس ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ: العراف اسم للكاهن، والمنجم والرمال، ونحوهم، ممن يتكلم بمعرفة الأمور بهذه الطرق.

وقال ابن عباس في قوم يكتبون (أبا جاد) وينظرون في النجوم «ما أرى من فعل ذلك له عند الله من خلاق» .

فالكهان: جمع كاهن، وهو الذي يخبر عن المغيبات الكائنة والمستقبلية؛ اعتماداً على الاستعانة بالشياطين، كالعرافين، والمنجمين، والرمالين، وكل من يدعي علم الغيب؛ لأن الله هو المتفرد بعلم الغيب . فمن ادعى مشاركة الله في ذلك، أو صدقه؛ فقد جعل لله شريكاً فيما هو من خصائصه .

وكثير من الكهانة لا تخلو من الشرك، والتقرب إلى الوسائط التي تستعين بها على دعوى العلوم الغيبية؛ فهو شرك من جهة دعوى مشاركة الله في علمه، ومن جهة التقرب إلى غير الله .

فالواجب الحذر منهم، وعدم سؤالهم، وعدم تصديقهم .



﴿١٤﴾ الشرك الأصغر ﴿﴾

عن محمود بن لبيد الأنصاري قال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إن أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر، قالوا: وما الشرك الأصغر يا رسول الله؟ قال: الرياء؛ يقول الله عَزَّوَجَلَّ لهم يوم القيامة إذا جزي الناس بأعمالهم: اذهبوا إلى الذين كنتم تراؤون في الدنيا، فانظروا هل تجدون عندهم جزاء؟! (١).

الرياء مصدر راءى يرائي رياء فهو مرائي، والمعنى: أنه يفعل العمل ليراه الناس، يصلي ليراه الناس، يتصدق ليراه الناس، قصده أن يمدحوه وأن يثنوا عليه وأن يعرفوا أنه يتصدق أو أنه يصلي أو يحج لذلك أو يعتمر لذلك.. أو ما أشبه ذلك، وهكذا إذا قرأ ليمدحوه ويسمى السمعة، إن كان بالأقوال تسمى السمعة، أو أمر بمعروف أو نهى عن منكر يمدح ويثنى عليه لا لله وحده فهذا من الرياء في الأفعال، ويقال لما يسمع: سمعة، ويقول النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (من راءى راءى الله به، ومن سمع سمع الله به) (٢).

فالواجب على المؤمن أن يحذر ذلك، وأن تكون أعماله لله وحده، يصلي لله يصوم لله يتصدق لله، يرجو ثوابه يرجو مغفرته سبحانه، وهكذا يأمر بالمعروف ينهى عن المنكر.. يحج.. يعتمر.. يعود المريض، يطلب ما عند الله من الأجر، لا رياء الناس ولا حمد الناس ولا سمعتهم، هذا هو الواجب على المؤمن كما قال

(١) أخرجه أحمد (٢٣٦٣٠) واللفظ له وصححه الألباني، وحسنه شعيب الأرنؤوط في تخريج المسند

والبيهقي في (شعب الإيمان) (٦٨٣١)، والبعوي في (شرح السنة) (٤١٣٥).

(٢) رواه مسلم.



الله تعالى: ﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَادِقًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ (١١٠) [سورة الكهف: آية ١١٠].

فاشتملت فتياه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على أمرين:

الأول: تفسيره الشرك الأصغر بالرياء الذي هو أعظم أنواعه، وأخطرها على قلب العبد وعمله.

الثاني: حكم الرياء، وذلك بإخباره عن الوعيد المترتب على فعل الرياء، والعاقبة الوخيمة التي يلقاها صاحبه القيامة. فالرياء من أخطر الأمور إذ خافه النبي على الصحابة خيار خلق الله بعد الأنبياء مع قربهم من النبي وصحبتهم له وقوة إيمانهم وصدق عبوديتهم لله وتزكية الله لهم فكيف بغيرهم ممن جاء بعدهم؟! فقد قال النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ لأصحابه «ألا أخبركم بما هو أخوف عليكم عندي من المسيح الدجال؟» قلنا: بلى يا رسول الله، قال: «الشرك الخفي أن يقوم الرجل يصلي فيزين صلاته لما يرى من نظر رجل»^(١).

ونتيجة لهذه التحذيرات من النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كانوا رضوان الله عليهم يخافون على أنفسهم من النفاق كما قال بن أبي مليكة "أدركت ثمانين من أصحاب رسول الله كلهم يخشى النفاق على نفسه".

فالمسلم يخاف على نفسه من الوقوع في الشرك والنفاق والرياء ويسأل الله تعالى الهداية والإخلاص والسلامة من الشرك والثبات على الحق



(١) ابن ماجه: ٤٢٠٣.



﴿ (١٥) دعاء للسلامة من الشرك الخفي ﴾

عن أبي موسى الأشعري أنه قال: خطبنا رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذات يوم فقال: (أيها الناس اتقوا هذا الشرك، فإنه أخفى من ديب النمل، فقيل له: وكيف نتقيه وهو أخفى من ديب النمل يا رسول الله؟ قال: قولوا اللهم إنا نعوذ بك أن نشرك بك شيئاً نعلمه ونستغفرك لما لا نعلمه)^(١).

وقال النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «أيها الناس اتقوا هذا الشرك، فإنه أخفى من ديب النمل» - لا شك أنه إذا كان بهذه المثابة من الخفاء وقع فيه الإنسان وهو لا يشعر - فقال له من شاء الله أن يقول: وكيف نتقيه وهو أخفى من ديب النمل يا رسول الله؟ قال: «قولوا: اللهم إنا نعوذ بك من أن نشرك بك شيئاً نعلمه، ونستغفرك لما لا نعلم»^(٢)، فدل على أن هناك نوعاً من الشرك خفي، يخفى على المكلف بحيث يمكن أن يزاوله ولا يشعر. فلذلك على المسلم الخوف من الشرك والخوف من الرياء ودعاء الله بهذا الدعاء الذي أرشدنا إليه نبينا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حتى ننجو من الشرك الخفي والرياء.



(١) رواه أحمد وحسنه الألباني.

(٢) المسند: ١٩٦٠٦.

﴿١٦﴾ النشرة وحل السحر بمثله من عمل الشيطان ﴿﴾

📖 عن جابر بن عبد الله: سئل النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن النشرة، فقال: (من عمل الشيطان)^(١).

فعلم بهذه الفتيا حكم النشرة المسؤول عنها، وذلك من خلال ذم هذا الفعل بيان أنه من عمل الشيطان؛ ليكون أبلغ في الزجر، وأشد في النهي؛ «لأن ربطها بعمل الشيطان يقتضي تقييحها، والتفجير عنها»، وهذا من دلائل حرمتها، وشناعة استعمالها.

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ: والنشرة: هي حل السحر عن المسحور وهي نوعان:

الأول: حل السحر بسحر مثله وهو الذي من عمل الشيطان فإن السحر عمله فيتقرب إليه الناشر والمنتشر بما يحب فيبطل عمله عن المسحور وهذا محرم.

والثاني: النشرة بالرقية والتعوذات والدعوات والأدوية المباحة فهذا جائز بل مستحب^(٢).

واعلم أن هناك طريقة شرعية للوقاية من السحر:

اعلم أن ما أنزل الله داء إلا وأنزل له دواء، ولكن بشرط ألا يكون محرماً؛ كما أخبر سيد البشر محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ومما ابتلي به كثير من الناس بسبب جهلهم وبعدهم عن شريعة ربهم وسنة نبيهم صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الذهاب إلى السحرة

(١) أخرجه أبو داود (٣٨٦٨)، وأحمد (١٤١٣٥) واللفظ له، قال شعيب الأرنؤوط في تخريج المسند

إسناده صحيح وحسنه ابن حجر في الفتح ٢٣٣/١٠ وصححه الألباني في المشكاة ٤٥٥٣.

(٢) إعلام الموقعين لابن القيم ٤/٣٩٦.

والعرافين؛ لكي يحل عنهم السحر، وهذا من أكبر الأخطاء التي وقع فيها عوام الناس، ولو أنهم سألوا، لوجدوا الحل والوقاية من السحر، وهي:

١- الاستعانة بالله، والاستعاذة به، وتقوى الله عَزَّجَلَّ والصبر والتوكل على الله، ولا يخاف إلا من الله، والإقبال على الله بالإخلاص له، والصدقة والإحسان، وغيرها من أعمال البر.

٢- التصبح بسبع تمرات عجوة:

عن سعد بن أبي وقاص رَضِيَ اللهُ عَنْهُ يقول: سمعت رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: (من تصبح بسبع تمرات عجوة، لم يضره ذلك اليوم سم ولا سحر)^(١). وقد ذكر أهل العلم أن هذا يشمل جميع أنواع التمور أيضاً.

٣- الأذكار والتعوذات:

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ: "فالقلب إذا كان ممتلئاً بالله، مغموراً بذكره، وله من التوجهات والدعوات والأذكار والتعوذات ورد لا يخل به، يطابق فيه قلبه لسانه، كان هذا من أعظم الأسباب التي تمنع إصابة السحر له"^(٢).



(١) متفق عليه: البخاري (٥٧٦٩)، مسلم (٢٠٤٧).

(٢) زاد المعاد (١١٦/٤).

﴿١٧﴾ الشرك والسحر من السبع الموبقات ﴿﴾

📖 عن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: (اجتنبوا السبع الموبقات)، قالوا: يا رسول الله وما هن؟ قال: (الشرك بالله، والسحر، وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق، وأكل الربا، وأكل مال اليتيم، والتولي يوم الزحف، وقذف المحصنات المؤمنات الغافلات) (١).

الاجتناب: هو الابتعاد وعدم المقاربة.

الموبقات: قال الإمام النووي رَحِمَهُ اللهُ: "هي المهلكات"، وهن المذكورات في هذا الحديث.

وأعظم هذه الموبقات وأشدّها خطراً على المسلم الإِشْرَاق بالله والسحر: فالإِشْرَاق بالله: وهو جعل شريك لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فِي رُبُوبِيَّتِهِ أَوْ إِلَهِيَّتِهِ، والغالب الإِشْرَاق فِي الأُلُوهِيَّةِ؛ بأن يدعو مع الله غيره، أو يصرف له شيئاً من أنواع العبادة كالذبح، أو النذر، أو الخوف، أو الدعاء، والشرك نوعان:

النوع الأول: شرك أكبر يخرج من الإسلام، ويخلد صاحبه في النار إذا مات، ولم يتب منه، وهو صرف شيء من أنواع العبادة لغير الله كدعاء غير الله، والتقرب بالذبح والنذر لغير الله من القبور والجن، والخوف من الموتى أو الجن أن يضرّوه أو يمرضوه، ورجاء غير الله فيما لا يقدر عليه إلا الله من قضاء الحاجات، وتفريج الكربات مما يفعل الآن حول قبور الصالحين وغيرهم قال تعالى: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شَفَعُوا عِنْدَ اللَّهِ﴾ [سورة يونس: آية ١٨].

(١) رواه البخاري برقم (٢٦١٥)، ومسلم برقم (١٤٥).

والنوع الثاني: شرك أصغر لا يخرج من الإسلام لكنه ينقص التوحيد، وهو وسيلة إلى الشرك الأكبر، وهو قسمان:

القسم الأول شرك ظاهر وهو (ألفاظ وأفعال)، فالألفاظ: كالحلف بغير الله كما جاء عنه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (من حلف بغير الله فقد كفر أو أشرك) ونحو قوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لما قال له رجل: ما شاء الله وشئت، فقال: (أجعلتني لله ندا قل ما شاء الله وحده).

ومن شرك الأفعال تعليق التمام والخيوط والحروز باعتقاد أنها سبب لدفع الضر أو جلب النفع، قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (من تعلق تميمة فلا أتم الله له) وفي رواية: (من تعلق تميمة فقد أشرك)^(١).

وأما القسم الثاني من الشرك الأصغر: فهو شرك خفي، وهو الشرك في الإيرادات والنيات بالرياء والسمعة، كأن يعمل عملاً مما يتقرب به إلى الله تعالى يريد به ثناء الناس عليه، مثل أن يحسن صلاته، أو يتصدق لأجل أن يمدح ويثنى عليه، والرياء إذا خالط العمل أبطله قال تعالى: ﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَادِقًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ [سورة الكهف: آية ١١٠]، وقال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (إن أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر) قالوا: يا رسول الله وما الشرك الأصغر؟ قال: (الرياء).

والشرك بالله هو أحد أكبر الكبائر يقول النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (ألا أنبئكم بأكبر الكبائر) ثلاثاً، قالوا: بلى يا رسول الله، قال: (الإشراك بالله...) (٢). وهو الذنب

(١) أخرجه الإمام أحمد في مسند الشاميين برقم ١٦٧٨١.

(٢) رواه البخاري برقم (٢٥١١)، ومسلم برقم (٨٧).

الذي لا يغفره الله تعالى لمن مات ولم يتب منه، بل يكون مصير صاحبه النار كما قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ، وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ افْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا﴾ [سورة النساء: آية ٤٨]، وقال تعالى: ﴿إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ﴾ [سورة المائدة: آية ٧٢]، وذلك لأن الشرك فيه مشابهة للخالق الكامل من جميع الوجوه بالمخلوق الضعيف الناقص.

وأما السحر: فهو ما يتعاطاه السحرة من عقد وأدوية ونفث في العقد وغيرها وأشياء يتلقونها من الجن والأنس.. والسحر محرم في جميع أديان الرسل عليهم الصلاة والسلام... وهو منكر وشرك لانه لا يتوصل إليه إلا عن طريق الشياطين والتقرب إليهم وعبادتهم من دون الله.. ولا يجوز لأحد أن يتعلم السحر ولا يتعاطاه، قال تعالى: ﴿وَمَا يَعْلَمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَنْتَعِمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلْقٍ﴾ [سورة البقرة: آية ١٠٢]. قال ابن عباس: "من نصيب". وقال الحسن: "الساحر ليس له دين" وهذه الآية من أقوى الأدلة التي تدل على أن تعلم السحر يوجب الكفر وهو الصحيح من أقوال العلماء... وقد جعله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من الموبقات.



﴿١٨﴾ لا يعبد الله بالذبح له في مكان يذبح فيه لغير الله ﴿﴾

عن ثابت بن الضحاك قال: «نذر رجل أن ينحر إبلا بيوانة، فسأل النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال: هل كان فيها وثن من أوثان الجاهلية يعبد؟ قالوا: لا. قال: فهل كان فيها عيد من أعيادهم؟ قالوا: لا. فقال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أوف بنذرك، فإنه لا وفاء لنذر في معصية الله، ولا فيما لا يملك ابن آدم»^(١).

لا يذبح لله تعالى في مكان يذبح فيه لغير الله عَزَّوَجَلَّ لأن ذلك وسيلة وذريعة للوقوع في الشرك الأكبر بالذبح لغير الله تعالى ففي هذا الحديث المنع من الوسيلة التي توصل للذبح لغير الله؛ وذلك بمنع الذبح لله في مكان يذبح فيه لغير الله، كالمكان الذي فيه وثن من أوثان الجاهلية، أو عيد من أعيادهم، أو كالمكان الذي يذبح فيه لغير الله، كالقباب والأضرحة والمقامات التي يذبح الناس عندها للأموات وينذرون لهم تقرباً إليهم فذلك من الشرك الأكبر، فلا يذبح لله تعالى عندها، بل تجتنب تلك الأمكنة، ولا يذبح فيها ولا عندها لله تعالى، ولو بعد زوالها خشية تجدد الشر أو توهم الجهلة أنه تعظيم للبقعة واليوم والزمّن الذي كان يعظمه أهل الجاهلية فيقعوا فيما وقعوا فيه وهذا هو نهج الإسلام بسد ذرائع الشرك ووسائله وإغلاق جميع الأبواب الموصلة إليه.



(١) رواه أبو داود. وإسناده على شرطهما.

﴿١٩﴾ الأخذ بالأسباب لا ينافي التوكل ﴿﴾

عن عمرو بن أمية قال: قال رجل للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أرسل ناقتي وأتوكل؟ قال: (اعقلها وتوكل) (١).

التوكل على الله هو الاعتماد على الله في جلب المنافع ودفع المضار في الدنيا والآخرة وهو من معالي مراتب الإيمان؛ حيث قال الله عَزَّجَلَّ: ﴿وَعَلَى اللَّهِ فليتَوَكَّلْ الْمُؤْمِنُونَ﴾ [سورة آل عمران: آية ١٢٢]، ومن أسباب الظفر بحب الله تعالى؛ حيث قال عَزَّجَلَّ: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾ [سورة آل عمران: آية ١٥٩]، ومن أسباب الرزق وكفاية الله العبد؛ حيث قال الله عَزَّجَلَّ: ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾ [سورة الطلاق: آية ٣]، ومع ذلك فقد أمر الشرع بالأخذ بالأسباب؛ حتى لا يتحول التوكل إلى تواكل وكسل.

وفي هذا الحديث يخبر عمرو بن أمية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أن رجلاً سأل النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مستفهما أي الفعلين يوافق التوكل؛ هل هو ربط الناقة في مكان، أو تركها على حالها ثم السعي والذهاب لأحواله؟ فقال له النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "اعقلها وتوكل"، أي: اربط تلك الناقة في المكان الذي تركتها فيه حتى لا تذهب وتضل، ثم توكل على الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى واسع في حاجتك، وقيل: اعقلها، أي: شد ركة ناقتك مع ذراعيها بحبل.

وفي الحديث: بيان أن الأخذ بالأسباب لا ينافي التوكل؛ لأن التوكل يخص القلب، والتعرض بالأسباب أفعال تخص البدن، فلا تناقض بل بذل الأسباب

(١) رواه ابن حبان في صحيحه وحسنه شعيب الأرنؤوط: ٧٣١.

مطلوب مع التوكل على الله والاعتماد عليه سبحانه وعدم الاعتماد على الأسباب لأن الاعتماد على الأسباب شرك أصغر كما قرر ذلك أهل العلم فالأسباب تبذل لكن لا يعتمد عليها بل الاعتماد والتوكل على الله وحده سبحانه وبحمده.



﴿٢٠﴾ من نوقش الحساب عذب ﴿﴾

عن ابن أبي مليكة، أن عائشة زوج النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كانت لا تسمع شيئاً لا تعرفه إلا راجعت فيه حتى تعرفه وأن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: (من حوسب عذب)، قالت عائشة: فقلت أوليس يقول الله تعالى ﴿فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا﴾ [سورة الانشقاق: آية ٨] قالت فقال: (إنما ذلك العرض ولكن من نوقش الحساب يهلك) (١).

قال الشيخ ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ في موقعه: عائشة لما قال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من حوسب عذب، يعني من نوقش فأوردت عليه الآية: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوْفِيَ كِتَابَهُ، بِيَمِينِهِ﴾ [سورة الانشقاق: آية ٧-٨] واحتجت عليه بقول الله قالت: أوليس الله يقول كذا وكذا، فأجابها النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ بأن المراد بالحساب العرض، المراد به العرض، وأما من حوسب ونوقش فإنه يهلك، لأن الله لو حاسبنا لكانت نعمة واحدة تجتاح كل عمل، عملناه، بل إن العمل الذي نعمله من الأعمال الصالحة نعمة يحتاج إلى شكر، إذا وفقك الله تعالى للإسلام أولاً، ثم للعمل الصالح، فانظر من ضل عن الإسلام، وانظر من فسق عن أمر ربه، تعرف أن هذا نعمة من الله عليك تحتاج إلى شكر، فلو ناقشنا الله عَزَّوَجَلَّ، لهلكنا، ولكنه يعرض علينا الأعمال يقول عملت كذا في يوم كذا ثم يقول سترتها عليك في الدنيا وأنا أغفرها لك اليوم اللهم لك الحمد.

ثم إنه في هذه الآية في هذا الحديث أولاً: جواز إيراد الإشكال على المعلم،

(١) رواه البخاري ١٠٣.

لا لقصد الرد عليه، ولكن لقصد إزالة الشبهة، لأننا نعلم علم اليقين أن عائشة لما قالت أوليس الله يقول ليست تريد أن ترد على النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قوله، لكن تريد أن تدفع الاشكال الذي حصل عندها في هذه الآية.

وفيه أيضاً إثبات أن قول الله تعالى حجة مقدمة على السنة، لأن الرسول قال من حوسب عذب، وهذه سنة من قول الرسول عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، فأوردت عليه الآية، ولهذا لو تعارض القرآن والسنة قدم القرآن، ولكن يجب أن نعلم أنه لا يمكن أن تعارض سنة صحيحة لكتاب الله عَزَّجَلَّ على وجه لا يمكن الجمع بينهما، اللهم إلا أن يكون هناك نسخ^(١).

فالحساب يوم القيامة نوعان:

حساب عرض ومعاينة، وهو حساب يسير لا عذاب فيه.

وحساب مناقشة، وهو حساب عسير وشديد، ولا يخلو من العذاب؛ لأنه مناقشة للعبد على أخطائه، وتوقيفه على جميع ذنوبه، واستقصاء لكل سيئاته.

وفي الحديث: بيان فضيلة عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، وحرصها على التعلم والتحقيق.

وفيه: إثبات الحساب والعرض، والعذاب يوم القيامة، وتفاوت الناس في الحساب.

وفيه: جواز المناظرة ومقابلة السنة بالكتاب.

وفيه: أن من حق طالب العلم أن يسأل فيما أشكل عليه، وأن يراجع.

وفيه: أن على العالم أن يقابل مراجعته برحابة صدر، وأن يجيب السائل

المستفهم، كما فعل النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

﴿٢١﴾ نؤدي حق ولاية الأمر ونسأل الله حقنا ﴿﴾

عن عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّهَا سَتَكُونُ بَعْدِي أَثْرَةٌ وَأُمُورٌ تَنْكُرُونَهَا». قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ كَيْفَ تَأْمُرُ مِنْ أَدْرَكَ مِنْ ذَلِكَ؟ قَالَ: «تُؤَدُّونَ الْحَقَّ الَّذِي عَلَيْكُمْ، وَتَسْأَلُونَ اللَّهَ الَّذِي لَكُمْ»^(١).
وجوب السمع والطاعة للأئمة الجور والصبر عليهم.

أخبر صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي غَيْرِ مَا حَدِيثٍ بِمَجِيءِ أئمة من بعده تبدر منهم أعمال منكورة، كالاستئثار بالأموال، والتعدي على الرعية بظلمهم ومنعهم حقوقهم، وربما تعدي أمرهم إلى تضييع الصلاة ونحو ذلك من الأمور المنكرة ولما كان الصحابة أنصح الناس لأنفسهم، وأحرصهم على نجاتها وطلب خلاصها تعددت استفتاءاتهم عن السبيل الأمثل والمسلك الأسلم في معاملة أولئك الحكام.
ومن ضمن تلك الاستفتاءات ما ورد في هذا الحديث وهذا الجواب منه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي غَايَةِ الْعَدْلِ، بِالْعَمَلِ بِهِ تَبْرَأُ الذِّمَّةُ، وَيَسْلَمُ الْمَرْءُ مِنَ التَّبَعَةِ .

وحاصله: أداء ما للأئمة من الحقوق، وإيصالها إليهم، ودفعها لهم دون أدنى تذر أو تضجر . وسؤال الله تعالى أن يلهمهم العدل والرحمة على الرعية، وأن يلين قلوبهم نحوها، مع ملازمة السمع والطاعة لهم بالمعروف لما في ذلك من الحفاظ على الجماعة ووحدة الصف والمصالح العظيمة في الدين والدنيا وما في عكسه من ضد ذلك من تفرق الكلمة وتسلط الأعداء وضياع مصالح الناس في دينهم ودنياهم.

(١) أخرجه البخاري (٣٦٠٣)، ومسلم (١٨٤٣).

﴿٢٢﴾ ثناء الناس على من يعمل الخير لا يضره

بل هو عاجل بشرى المؤمن

عن أبي ذر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: قيل لرسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أرأيت الرجل يعمل العمل من الخير ويحمده الناس عليه؟ قال: «تلك عاجل بشرى المؤمن»^(١).

وفي لفظ: أرأيت الرجل يعمل العمل لله، فيحبه الناس عليه؟ فقال: (ذلك عاجل بشرى المؤمن)^(٢).

تضمنت هذه الفتوى النبوية أن من علامات الخير وعاجل بشرى المؤمن ثناء الناس على الإنسان ومحبتهم وحمدهم له في دينه وأخلاقه وتعامله وشهادتهم له بأنه على خير وهذا مما لا يعاب به الإنسان ولا يؤثر على دينه ولا على إخلاصه ونيته كما ظنه هذا المستفتي فقد أجابه النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ بجواب قاطع في هذه المسألة وهو أنه مادام الإنسان مخلصاً في عمله ويريد به وجه الله فلا يضره بعد ذلك ثناء الناس ومدحهم ومحبتهم له بل ذلك عاجل بشرى المؤمن.



(١) رواه مسلم شرح النووي - كتاب البر والصلة والآداب - باب إذا أثني على الصالح فهي بشرى لا تضره (٨/٤٣٨) رقم ٢٦٤٢.

(٢) وهو لفظ ابن ماجه في سننه كتاب الزهد باب الثناء الحسن (٤/٤٨٠) رقم ٤٢٢٥، وصححه الألباني، انظر: صحيح سنن ابن ماجه (٣/٣٧٥).

﴿٢٣﴾ التداوي لا ينافي التوكل ﴿﴾

عن أسامة بن شريك رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: أتيت النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأصحابه كأنما على رؤوسهم الطير، فسلمت ثم قعدت، فجاء الأعراب ها هنا وها هنا، فقالوا: يا رسول الله، أنتداوي؟ فقال: «تداووا؛ فإن الله لم يضع داء إلا وضع له دواء، غير داء واحد، الهرم»^(١).

ففي هذه الفتوى الجواب الكافي عن هذه المسألة، فقد أذن صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالتداوي، وأمر به أصحابه، بل هذا هو هديه وحاله الذي كان يداوم عليه، فتبين أنه لا منافاة بينه وبين التوكل على الله تعالى .

فالتداوي من الأسباب التي يأخذ بها المسلم المتوكل على الله عزَّجَلَّ ولكنه لا يعتمد عليها ويشهد لهذه الفتيا ويؤكد ما تضمنته واشتملت عليه نصوص في معناها متعددة، منها: قوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (لكل داء دواء، فإذا أصيب دواء الداء برأ بإذن الله عزَّجَلَّ)^(٢).



(١) أخرجه أبو داود رقم ٣٨٥٥، والترمذي (٤/٣٣٥) رقم ٢٠٣٨، وابن ماجه (٤/٨٧) رقم ٣٤٣٦ وقال البوصيري في مصباح الزجاجة (٣/١١٤): «هذا إسناد صحيح، رجاله ثقات». وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (٢/٤٦١) وغيرها من كتبه رَحِمَهُ اللهُ.

(٢) مسلم مع شرح النووي كتاب السلام باب لكل داء دواء واستحباب التداوي (٧/٤٤٧) رقم ٢٢٠٤.

﴿٢٤﴾ وجوب كسر الأوثان والأصنام ﴿﴾

عن عمرو بن عبسة له في قصة إسلامه قال: «كنت وأنا في الجاهلية أضن أن الناس على ضلالة، وأنهم ليسوا على شيء وهم يعبدون الأوثان فسمعت برجل بمكة يخبر أخباراً فقعدت على راحتي فقدمت عليه فإذا رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مستخفياً جراء عليه قومه فتلطفت حتى دخلت عليه بمكة فقلت له: ما أنت؟ قال: «أنا نبي»، فقلت: وما نبي؟ قال: «أرسلني الله»، فقلت: وبأي شيء أرسلك؟ قال: «أرسلني بصلة الأرحام، وكسر الأوثان، وأن يوحد الله لا يشرك به شيء»^(١).

أجاب النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ عمرو بن عبسة عن تساؤلاته واستفتائاته فكانت هذه الإجابات سبب إسلامه: ما أنت؟ قال: «أنا نبي»، فقلت: وما نبي؟ قال: «أرسلني الله»، فقلت: وبأي شيء أرسلك؟ قال: «أرسلني بصلة الأرحام، وكسر الأوثان، وأن يوحد الله لا يشرك به شيء» فقد بين النبي أن الله أرسله بصلة الأرحام وكسر الأوثان التي تعبد من دون الله عَزَّوَجَلَّ.

وأن يوحد الله ويفرد بالعبادة لا يشرك به شيء ولا يصرف العبادة والدعاء والاستغاثة والذبح والنذر لغير الله من الأوثان أو الأصنام أو الجن أو للأموات أو القبور فذلك هو الشرك الأكبر قال عَزَّوَجَلَّ ﴿وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾ [سورة النساء: آية ٣٦].



(١) أخرجه مسلم ٨٣٢.

﴿٢٥﴾ التوحيد شرط قبول العمل ونفعه في الآخرة ﴿﴾

عن عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قالت: قلت: (يا رسول الله ابن جدعان كان في الجاهلية يصل الرحم، ويطعم المسكين فهل ذاك نافعة؟ قال: «لا ينفعه إنه لم يقل يوماً: رب اغفر لي خطيئتي يوم الدين»^(١)).

استفتت عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قائلة: يا رسول الله ابن جدعان كان في الجاهلية يصل الرحم، ويطعم المسكين فهل ذاك نافعة؟ فأفتاها النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قائلاً: لا ينفعه إنه لم يقل يوماً: رب اغفر لي خطيئتي يوم الدين.

﴿ ومن فوائد الحديث وهذه الفتوى النبوية : ﴾

١- الحديث دليل على أن الكافر لا تنفعه أعماله الصالحة ولو كثرت، لأن الكفر مانع من قبول العمل، قال تعالى: ﴿ وَمَا مَنَعَهُمْ أَنْ تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَتُهُمْ إِلَّا أَنْهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَلَا يَأْتُونَ الصَّلَاةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَى وَلَا يُنْفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَارِهِونَ ﴾ [سورة التوبة: آية ٥٤]، وقال تعالى: ﴿ وَقَدْ مَنَّآ إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا ﴾ [سورة الفرقان: آية ٢٣].

قال النووي رَحِمَهُ اللهُ: "معنى هذا الحديث: أن ما كان يفعله من الصلاة والإطعام ووجوه المكارم لا ينفعه في الآخرة لكونه كافراً، وهو معنى قوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "لم يقل يوماً: رب اغفر لي خطيئتي يوم الدين". أي لم يكن مصدقاً بالبعث ومن لم يصدق به كافراً ولا ينفعه عمل"^(٢).

(١) أخرجه مسلم ٢١٤.

(٢) شرح مسلم (٣/٨٢).

أما إن أسلم الكافر، فإن ما فعله من الأعمال الصالحة قبل إسلامه يكتب له أجره على الصحيح لقول النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لحكيم بن حزام: «أسلمت على ما سلف من خير» فعن حكيم بن حزام صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: قلت: يا رسول الله أرأيت أموراً كنت أتحنث أو أتحنث بها في الجاهلية من صلة وعتاقة وصدقة هل لي فيها أجر؟ فقال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أسلمت على ما سلف لك من خير»^(١).

وعن عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: قال أناس لرسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: يا رسول الله أنؤاخذ بما عملنا في الجاهلية؟ قال: «أما: من أحسن منكم في الإسلام فلا يؤاخذ بها، ومن أساء أخذ بعمله في الجاهلية والإسلام»^(٢).

٢- في الحديث دليل على مشروعية طلب المغفرة، وأفضلية هذا الدعاء "رب اغفر لي خطيئتي يوم الدين".

٣- الحديث دليل على عظم منزلة التوحيد فهو شرط في قبول العمل، وفي الحديث دلالة على فضل صلة الأرحام، وإطعام المساكين.

٤- الحديث دليل على إثبات يوم القيامة والحساب والجزاء.



(١) متفق عليه أخرجه البخاري (١٤٣٦) و (٢٢٢٠) و (٢٥٣٨)، ومسلم (١٢٣).

(٢) متفق عليه، واللفظ لمسلم أخرجه البخاري (٦٩٢١)، ومسلم (١٢٠).



﴿ (٢٦) أعظم ما يقربك إلى الجنة ﴾

أن تعبد الله لا تشرك بالله شيئاً وتعمل بما ورد في الحديث

عن أبي أيوب الأنصاري رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أن أعرابياً عرض لرسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهو في سفر، فأخذ بخطام ناقته أو بزمامها، ثم قال: يا رسول الله أخبرني بما يقربني من الجنة وما يباعدني من النار، قال: فكف النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ثم نظر في أصحابه ثم قال: «لقد وفق - أو لقد هدي - قال: كيف قلت؟» قال: فأعاد فقال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «تعبد الله لا تشرك به شيئاً، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصل الرحم، دع الناقة»^(١).

وفي رواية لمسلم: «وتصوم رمضان»^(٢).

استفتى هذا الأعرابي رسول الله عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ

قائلاً: يا رسول الله أخبرني بما يقربني من الجنة وما يباعدني من النار فكف النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ثم نظر في أصحابه ثم قال: «لقد وفق - أو لقد هدي - قال: كيف قلت؟» قال: فأعاد فقال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «تعبد الله لا تشرك به شيئاً، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصل الرحم، دع الناقة» فقد أعجب النبي بهذا السؤال والاستفتاء وقال عن المستفتي: لقد وفق أو لقد هدي، وهكذا ينبغي للسائل أن يكون سؤاله عما ينفعه في دينه ودنياه وينفع من حضره ومن بلغه وألا تكون أسألته عما لا يعنيه أو عما لا يستفيد منه بل قد يضره فكانت هذه الإجابة

(١) متفق عليه أخرجه البخاري ١٣٩٦ ومسلم ١٣.

(٢) عند مسلم (١٥) (١٨) ولكن ليست من حديث أبي أيوب بل من حديث جابر.

الوافيه منه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ التي ينبغي العمل بها لكل حريص على دخول الجنة
والنجاه من النار.



﴿٢٧﴾ ذم العجب بالعبادة والحث على التوقي على العمل ﴿﴾

وأن الجنة لا يدخلها أحد بعمله

عن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَنْ يَنْجِيَ أَحَدًا مِنْكُمْ عَمَلُهُ»، قَالُوا: وَلَا أَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «وَلَا أَنَا إِلَّا أَنْ يَتَّعِدَنِي اللَّهُ بِرَحْمَةٍ، سَدَدُوا، وَقَارِبُوا، وَاغْذُوا، وَرُوحُوا، وَشِئْ مِنْ الدَّلْجَةِ وَالْقَصْدِ الْقَصْدِ تَبَلَّغُوا»^(١).

فأفادتنا هذه الفتوى النبوية أنه يجب على العبد ألا يعجب بأعماله بل يجتهد فيها وفي تحقيق الإخلاص.

فيها الله عَزَّجَلَّ والمتابعة لرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ويسأل الله أن يتقبل منه ولا يعجب بعمله بل يوقن أن نجاته إنما تكون برحمة الله تعالى لا بالعمل وحده.

وفي هذا الحديث يؤكد النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هذه المعاني؛ فيخبر أن العمل لن يدخل الإنسان الجنة، ولن يجيره من النار، فسأله الصحابة رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ: «وَلَا أَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: وَلَا أَنَا»، أي: ويشمل هذا المعنى النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وهو أتقى الناس وأعبدهم لله عَزَّجَلَّ، ثم قال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِلَّا أَنْ يَتَّعِدَنِي اللَّهُ بِرَحْمَةٍ»، فيتداركني بها. ولا تعارض بين هذا الحديث وبين قول الله تعالى: ﴿ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ

﴿٣٣﴾ [سورة النحل: آية ٣٢]؛ فإن التوفيق للعمل الصالح، والهداية للطاعات، وقبول الله عَزَّجَلَّ لها؛ كل ذلك بفضل من الله تعالى، فهذا الحديث يفسر هذه الآية وما شابهها، ومعنى ذلك: ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون مع رحمة الله وبرحمة الله.

(١) متفق عليه، واللفظ للبخاري أخرجه ٦٤٦٣ ومسلم ٢٨١٦.

ثم أرشدهم النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى ما يساعد على الاستمرار في الطاعات، وما يتحصل به على تلك الرحمة يوم القيامة، فقال: «فسددوا وقاربوا»، أي: اقصدوا الصواب، ولا تفرطوا فتجهدوا أنفسكم في العبادة؛ لئلا يفضي بكم ذلك إلى الملل فتركوا العمل ففرطوا.



﴿٢٨﴾ النذر عبادة وصرفه للأوثان والأصنام والقبور شرك أكبر ﴿﴾

ووجوب الوفاء بالنذر إذا كان لله تَبَارَكَ وَتَعَالَى

عن كردم بن سفيان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه سأل رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن نذر نذر في الجاهلية، فقال له النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «ألوثن أو لنصب؟» قال: لا، ولكن لله تَبَارَكَ وَتَعَالَى قال: (فأوف لله تَبَارَكَ وَتَعَالَى ما جعلت له) ^(١).

لما استفتى كردم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وسأله عن نذر نذر في الجاهلية فاستفهم منه النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قائلاً: ألوثن أو لنصب؟ فقال: لا ولكن لله تَبَارَكَ وَتَعَالَى فأفتاه النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بقوله: فأوف لله تَبَارَكَ وَتَعَالَى ما جعلت له، يعني مادام نذرك سالم من الشرك فليس نذرا لغير الله من الأوثان والأصنام وغيرها فأوف بنذرك، وقد جاء وجوب الوفاء بنذر الطاعة لله في الكتاب والسنة قال تعالى ﴿يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا﴾ ^(٧) [سورة الإنسان: آية ٧].

قال بن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: أي يتعبدون لله فيما أوجبه عليهم من [فعل] الطاعات الواجبة بأصل الشرع، وما أوجبه على أنفسهم بطريق النذر.

وعن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: (من نذر أن يطيع الله فليطعه، ومن نذر أن يعصيه فلا يعصه) ^(٢).



(١) أخرجه أحمد ١٥٤٥٦ وابن ماجه ٢١٣١ والطبراني في الكبير ٢٥ / ٧٤.

(٢) رواه البخاري ٦٦٩٦.

﴿٢٩﴾ تحريم التشبه بالكفار

عن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «لَتَتَّبِعَنَّ سُنَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ، شَبْرًا بِشَبْرٍ وَذِرَاعًا بِذِرَاعٍ، حَتَّىٰ لَوْ دَخَلُوا فِي جَحْرٍ ضَبَّ لِأَتْبَعْتُمُوهُمْ». قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، الْيَهُودُ وَالنَّصَارَىٰ؟ قَالَ: «فَمَنْ؟»^(١).

وفي رواية عن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّىٰ تَأْخُذَ أُمَّتِي بِأَخْذِ الْقُرُونِ قَبْلَهَا، شَبْرًا بِشَبْرٍ وَذِرَاعًا بِذِرَاعٍ». فَقِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ كَفَارِسَ وَالرُّومَ؟ فَقَالَ: «وَمِنَ النَّاسِ إِلَّا أَوْلَئِكَ؟»^(٢).

يخبرنا أبو سعيد رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَخْبَرَ بِأَنَّ هَذِهِ الْأُمَّةَ سَتَقْتَلِدُ الْأُمَّمَ السَّابِقَةَ فِي عَادَاتِهَا وَدِيَانَاتِهَا، وَأَنَّهَا سَتَحَاوِلُ مِشَابَهَتَهُمْ فِي كُلِّ شَيْءٍ، ثُمَّ أَكَّدَ هَذِهِ الْمِشَابَهَةَ وَالْمِتَابَعَةَ بِأَنَّ الْأُمَّمَ السَّابِقَةَ لَوْ دَخَلَتْ جَحْرَ ضَبٍّ مَعَ ضَيْقِهِ وَظَلَمَتِهِ لِحَاوَلَتْ هَذِهِ الْأُمَّةَ دُخُولَهُ، وَلَمَّا اسْتَفْسَرَ الصَّحَابَةُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ عَنْ الْمُرَادِ بِمَنْ كَانَ قَبْلَهُمْ، وَهَلْ هُمْ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَىٰ؟ أَجَابَ بِنَعْمٍ: فَلِلْمُسْلِمِ هُوِيَّتَهُ الَّتِي تَمِيزُهُ عَنِ الْغَيْرِ، وَشَرِيعَتَهُ الَّتِي فَضَّلَهُ اللَّهُ بِهَا عَلَى الْعَالَمِينَ، وَقَدْ كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَرِيصًا عَلَى بَقَاءِ هَذَا التَّمِيزِ وَالتَّفْضِيلِ، وَمَنْ ثُمَّ كَانَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَأْمُرُ بِمُخَالَفَةِ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنَ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَىٰ، وَيَحْذَرُ مِنْ مِتَابَعَتِهِمْ.

وفي هذا الحديث يخبر النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بما يكون عليه حال أمته في فترة

(١) متفق عليه.

(٢) رواه البخاري ٣٤٥٦.

من الفترات التي تأتي بعد زمانه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وهي متابعة أهل الأهواء والبدع من اليهود والنصارى الذين بدلوا دينهم، فقال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لتتبعن سنن من قبلكم». والسنن: هي الطريقة والأفعال، والمعنى: أنكم تتبعون طريقة النصارى واليهود في أفعالهم وحياتهم متابعة دقيقة شديدة، تاركين سنته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وصور النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شدة هذا الاتباع، فقال: «شبرا بشبر، وذراعا بذراع»، وهذا كناية عن شدة الموافقة لهم، واتباعهم في عاداتهم وتقاليدهم، حتى لو دخل اليهود والنصارى جحر ضب لدخله المسلمون وراءهم، والضب: حيوان جحره شديد الظلمة نتن الريح، وهو من الزواحف يكثر في الصحاري العربية، ووجه التخصيص بجحر الضب: شدة ضيقه ورداءته، ومع ذلك فإنهم - لاقتنائهم آثارهم واتباعهم طرائقهم - لو دخلوا في مثل هذا الضيق الرديء لوافقوهم!

وفي هذا الحديث معجزة لرسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ فقد وقع ما أخبر به النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وانتشر ذلك في الأزمنة المتأخرة؛ من اتباع كثير من المسلمين لأعداء الله تعالى في عاداتهم وتقاليدهم وسلوكياتهم، فقلدوهم في ملابسهم وشعائرهم، وقلدوهم في أعيادهم، وفيما هم عليه من أخلاق ذميمة، وعادات فاسدة تخالف شريعة الإسلام المطهرة، وكان ذلك نتيجة لغلبة الكفار، والمغلوب مولع بتقليد الغالب، ومثال ذلك ما يشاهد في بلاد المسلمين من المشاركة في الأعياد والاحتفالات الخاصة باليهود والنصارى وغيرهم من أمم الكفر!

وأيضاً مما اتبع فيه كثير من المسلمين اليهود والنصارى: الغلو في الصالحين، وبناء القباب والمشاهد والمساجد على قبورهم؛ مما كان سبباً في كثير من الشراكيات التي ترتكب عندها كما جاء في هذا الحديث.

فعن عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا أن أم حبيبة، وأم سلمة ذكرتا كنيسة رأيها بالحبشة فيها تصاوير، فذكرتا للنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال: (إن أولئك إذا كان فيهم الرجل الصالح فمات، بنوا على قبره مسجداً، وصوروا فيه تلك الصور، فأولئك شرار الخلق عند الله يوم القيامة)^(١).

فهذا الحديث نص صريح في تحريم بناء المساجد على قبور الأنبياء والصالحين ووضع الصور فيه؛ لأنه صرح أنه من أسباب كونهم من شرار الخلق عند الله تعالى وهذا من أقوى الأدلة على حرمة ولما في ذلك من أسباب الغلو ووسائل الشرك وذرائعه، فإن ذلك سبب للغلو في الأموات ودعاؤهم من دون الله والاستغاثة بهم وطلب المدد منهم كما هو حاصل وللأسف الشديد في كثير من بلدان المسلمين وذلك هو الشرك الأكبر لقوله تعالى ﴿وَأَنَّ الْمَسْجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾ [سورة الجن: آية ١٨] وقوله عَزَّجَلَّ ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ مَنْ لَا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَنِ دُعَائِهِمْ غَفِلُونَ﴾ [سورة الأحقاف: آية ٥] وقال تعالى ﴿وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾ [سورة النساء: آية ٣٦].



(١) رواه البخاري الرقم: ٤٢٧.

﴿٣٠﴾ في كيفية إتيان الوحي إلى النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وشدته عليه ﴿﴾

عن عائشة أم المؤمنين رَضِيَ اللهُ عَنْهَا أَنَّ الْحَارِثَ بْنَ هِشَامٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ سَأَلَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يَا رَسُولَ اللَّهِ، كَيْفَ يَأْتِيكَ الْوَحْيُ؟» فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَحْيَانًا يَأْتِينِي مِثْلَ صَلْصَلَةِ الْجَرَسِ، وَهُوَ أَشَدُّ عَلَيَّ، فَيَفْصِمُ عَنِّي وَقَدْ وَعَيْتُ عَنْهُ مَا قَالَ، وَأَحْيَانًا يَتِمُّثَلُ لِي الْمَلِكُ رَجُلًا فَيُكَلِّمُنِي فَأَعْيِي مَا يَقُولُ»، قَالَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا: «وَلَقَدْ رَأَيْتَهُ يَنْزِلُ عَلَيْهِ الْوَحْيُ فِي الْيَوْمِ الشَّدِيدِ الْبَرْدِ، فَيَفْصِمُ عَنْهُ وَإِنْ جَبِينَهُ لِيَتْفَصِدَ عِرْقًا»^(١).

سَأَلَ الْحَارِثُ بْنُ هِشَامٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ كَيْفِيَّةِ إِتْيَانِ الْوَحْيِ فَأَجَابَهُ بِهَذَا الْجَوَابِ الْوَافِي: بِقَوْلِهِ: أَحْيَانًا يَأْتِينِي مِثْلَ صَلْصَلَةِ الْجَرَسِ، وَهُوَ أَشَدُّ عَلَيَّ، فَيَفْصِمُ عَنِّي وَقَدْ وَعَيْتُ عَنْهُ مَا قَالَ، وَأَحْيَانًا يَتِمُّثَلُ لِي الْمَلِكُ رَجُلًا فَيُكَلِّمُنِي فَأَعْيِي مَا يَقُولُ.

نص كلام العلامة ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ عَنْهُ عن مراتب الوحي في (زاد المعاد في هدي خير العباد):^(٢) "...وأكمل الله له - أي: للنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - من مراتب الوحي مراتب عديدة:

إحداها: الرؤيا الصادقة، وكانت مبدأً وحيه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح.

الثانية: ما كان يلقيه الملك في روعه وقلبه من غير أن يراه؛ كما قال النبي

(١) البخاري (٢)، ومسلم (٢٣٣٣).

(٢) (زاد المعاد في هدي خير العباد) ابن القيم.

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "إن روح القدس نفث في روعي، أن نفسا لن تموت حتى تستكمل أجلها، وتستوعب رزقها، فاتقوا الله، وأجملوا في الطلب، ولا يحملن أحدكم استبطاء الرزق أن يطلبه بمعصية الله، فإن الله تعالى لا ينال ما عنده إلا بطاعته" (١).

الثالثة: أنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان يتمثل له الملك رجلا، فيخاطبه حتى يعي عنه ما يقول له، وفي هذه المرتبة كان يراه الصحابة أحيانا.

الرابعة: أنه كان يأتيه في مثل صلصلة الجرس، وكان أشده عليه فيتلبس به الملك حتى إن جبينه ليتفصد عرقا في اليوم الشديد البرد، وحتى إن راسلته لتبرك به إلى الأرض إذا كان راكبها، ولقد جاءه الوحي مرة كذلك، وفخذه على فخذ زيد بن ثابت، فثقلت عليه حتى كادت ترضها.

الخامسة: أنه يرى الملك في صورته التي خلق عليها، فيوحي إليه ما شاء الله أن يوحيه، وهذا وقع له مرتين، كما ذكر الله ذلك في سورة النجم ﴿وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَى ﴿٧﴾ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى ﴿٨﴾ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى ﴿٩﴾ فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ ﴿١٠﴾ مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَىٰ ﴿١١﴾ أَفَتُمْسُونَهُ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ ﴿١٢﴾ وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴿١٣﴾﴾ [سورة النجم: آية ٧-١٣].

السادسة: ما أوحاه الله وهو فوق السماوات ليلة المعراج من فرض الصلاة وغيرها.

السابعة: كلام الله له منه إليه بلا واسطة ملك، كما كلم الله موسى بن عمران، وهذه المرتبة هي ثابتة لموسى قطعا بنص القرآن، وثبوتها لنبينا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هو في حديث الإسراء.

(١) صحيح الجامع (٢٠٨٥).

وقد زاد بعضهم: مرتبة ثامنة وهي تكليم الله له كفاحاً من غير حجاب، وهذا على مذهب من يقول: إنه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رأى ربه تَبَارَكَ وَتَعَالَى، وهي مسألة خلاف بين السلف والخلف، وإن كان جمهور الصحابة بل كلهم مع عائشة، كما حكاه عثمان بن سعيد الدارمي إجماعاً للصحابة^(١).



(١) زاد المعاد لابن القيم (١ / ٧٨).

﴿٣١﴾ عبادة الأوثان في آخر الزمان ﴿﴾

عن عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قالت: قال النبي لا يذهب الليل والنهار حتى تعبد اللات والعزى، فقلت: يا رسول الله، إن كنت لأظن حين أنزل الله: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾ [سورة الصف: آية ٩] أن ذلك تاماً، قال: إنه سيكون من ذلك ما شاء الله، ثم يبعث الله ريحا طيبة، فتوفى كل من في قلبه مثقال حبة خردل من إيمان، فيبقى من لا خير فيه، فيرجعون إلى دين آبائهم^(١).

يوم القيامة لا يعلم مواعده إلا الله سبحانه، وكان النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يخبر أصحابه رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ ببعض العلامات الصغرى والكبرى، التي إذا ظهرت فإن القيامة تكون قد أظلت الناس.

وفي هذا الحديث يخبر النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه لا يذهب الليل والنهار بمرور الأزمان حتى تعبد اللات والعزى، وهما صنمان كانت العرب تعبدهما من دون الله في الجاهلية، واللات اسم صنم لثقيف، وكان بالطائف، والعزى صنم لقريش وبني كنانة.

وفي رواية أخرى عند مسلم أيضاً: «لا تقوم الساعة وعلى وجه الأرض أحد يقول: الله الله»، وبذلك يكون عندما يتوفى الله كل المؤمنين، ولم يبق إلا الأشرار والكفار، فتقوم عليهم القيامة.

فأخبرت عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنها كانت تظن لما أنزل الله:

(١) رواه مسلم ٢٩٠٧.

﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾ [سورة الصف: آية ٩]، أن ذلك تام، فعلمت من مفهوم الآية أن ملة الإسلام ظاهرة على الأديان كلها، غالبية عليها غير مغلوبة؛ فكيف تعبد اللات والعزى؟! فوضح لها النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه ذلك الظهور الموعود يكون إلى ما شاء الله، «ثم يبعث الله ريحا طيبة» أي: لينة هادئة، فيتوفى ويموت بهذه الرياح كل من في قلبه مثقال حبة خردل من إيمان، والخردل: نبات معروف يشبه الشيء القليل البليغ في القلة، وهو كناية عن تناهي العمل في الصغر.

فبقاء أهل الكفر وحدهم على الأرض دون أن يكون هناك مسلمون، أمر يحدث في أواخر أيام الدنيا، قبل انعقاد القيامة الكبرى، وبعد خروج الرياح القابضة لأنفس جميع المؤمنين حتى لا تبقى الطائفة المنصورة والناجية على ظهر الأرض، فيبقى من لا خير فيهم فيرجعون إلى دين آبائهم في الكفر والشرك وعبادة الأصنام، فهذا هو الوقت الذي قصده رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. وفي الحديث: فضل الإيمان بالله عَزَّوَجَلَّ مهما بلغ في قلب الإنسان. وفيه: أن الإيمان يزيد وينقص.

وفيه: أنه ينبغي على المؤمن الخوف الشديد على التوحيد والحذر الدائم من الوقوع في الشرك فهذا نبي الله إبراهيم الخليل عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ يَقُولُ ﴿وَاجْتَنِبِي وَبَقِيَ أَنَّ تَعْبُدَ الْأَصْنَامَ﴾ [سورة إبراهيم: آية ٣٥] فكيف بغيره؟ قال إبراهيم التيمي: ومن يأمن البلاء بعد إبراهيم^(١).

(١) (انظر موسوعة الدرر السنية).

﴿٣٢﴾ فتنة المؤمنين في قبورهم إلا الشهيد

عن رجل من أصحاب النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن رجلاً قال: يا رسول الله، ما بال المؤمنين يفتنون في قبورهم إلا الشهيد؟ قال: «كفى ببارقة السيوف على رأسه فتنة»^(١).

للسهادة في سبيل الله تعالى منزلة عظيمة، ومرتبة جليلة، وأجرها عظيم، وثوابها كبير، ومن فضائل الشهيد ما جاء في هذا الحديث، حيث قال رجل من أصحاب النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "يا رسول الله، ما بال المؤمنين يفتنون في قبورهم؟!"، أي: بامتحانهم بسؤال الملكين منكر ونكير، "إلا الشهيد؟!، أي: ما سبب استثناء الشهيد عن باقي المؤمنين من ذلك السؤال؟ قال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "كفى ببارقة السيوف على رأسه فتنة!" أي: يكفي في صدق إيمانهم ثباتهم عند لمعان السيوف فوق رؤوسهم؛ فنجاحهم في ذلك الاختبار يغنيهم عن اختبار القبر؛ فالسؤال في القبر إنما جعل لامتحان المؤمن الصادق في إيمانه من المنافق، وثباته تحت بارقة السيوف أدل دليل على صدقه في إيمانه، وإلا لفر من الكفار؛ قيل: وإذا كان الشهيد لا يفتن فالصديق أولى؛ لأنه أجل قدراً.

وفي الحديث: إثبات فتنة المؤمنين في قبورهم

وفيه: فضل الشهادة في سبيل الله عَزَّوَجَلَّ.

وفيه: فضيلة الصبر عند ملاقات العدو، وعدم الفرار منه، وأنها علامة إيمان، وسبب نجاته من فتنة القبر.

(١) أخرجه النسائي ٢٠٥٣ بإسناد حسن وصححه الألباني في صحيح النسائي ٢٠٥٢.

كما أنه من المعلوم والمتقرر عن أهل السنة أن عذاب القبر ثابت في نصوص كثيرة منها قوله تعالى ﴿النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ﴾ [سورة غافر: آية ٤٦].

قال بن كثير رَحِمَهُ اللهُ: "وهذه الآية أصل كبير في استدلال أهل السنة على عذاب البرزخ في القبور... ثم قال بن كثير رَحِمَهُ اللهُ: وقد روى البخاري عن عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا أن يهودية دخلت عليها فقالت: أعاذك الله من عذاب القبر. فسألت عائشة رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن عذاب القبر؟ فقال: «نعم عذاب القبر حق». قالت عائشة: فما رأيت رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بعد صلى صلاة إلا تعوذ من عذاب القبر. فهذا يدل على أنه بادر إلى تصديق اليهودية في هذا الخبر، وقرر عليه" (١).



(١) تفسير بن كثير.

﴿٣٣﴾ ماجاء في رد كيد الشيطان إلى الوسوسة ﴿﴾

عن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ جاء ناس من أصحاب النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فسألوه: إنا نجد في أنفسنا ما يتعاظم أحدنا أن يتكلم به، قال: وقد وجدتموه؟ قالوا: نعم، قال: ذاك صريح الإيمان^(١).

ومثله ماجاء عن عبد الله بن عباس (جاء رجل إلى النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال يا رسول الله إن أحدنا يجد في نفسه، يعرض بالشيء، لأن يكون حممة أحب إليه من أن يتكلم به، فقال: الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر، الحمد لله الذي رد كيده إلى الوسوسة)^(٢).

﴿ من فوائد هذه الفتوى النبوية الكريمة ﴾

- ١- الشيطان عدو لدود للمؤمنين؛ يوسوس لهم بالكفر، ويلقي عليهم الشبهات، ولكن الله يؤيد عباده المؤمنين ويثبتهم على الحق.
- ٢- وقد علم النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أمته كيفية إزالة الشكوك والوساوس عن صدورهم، وعلمها ماذا تفعل في مثل هذه المواقف.

قال النووي رَحِمَهُ اللهُ فِي شرح مسلم لما ذكر هذه الأحاديث ما نصه: (أما معاني الأحاديث وفقهها: فقوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ذلك صريح الإيمان ومحض الإيمان معناه استعظامكم الكلام به هو صريح الإيمان، فإن استعظام هذا وشدة الخوف

(١) رواه مسلم ١٣٢

(٢) أخرجه أبو داود (٥١١٢) واللفظ له وأحمد (٢٠٩٧)، والنسائي في (السنن الكبرى) (١٠٥٠٣) وصححه لألباني في صحيح أبي داود ٥١١٢.

منه ومن النطق به فضلاً عن اعتقاده إنما يكون لمن استكمل الإيمان استكمالاً محققاً وانتفت عنه الريبة والشكوك. وقيل: معناه أن الشيطان إنما يوسوس لمن آيس من إغوائه فينكد عليه بالوسوسة لعجزه عن إغوائه، وأما الكافر فإنه يأتيه من حيث شاء ولا يقتصر في حقه على الوسوسة بل يتلاعب به كيف أراد.

٣- على هذا معنى الحديث: سبب الوسوسة محض الإيمان أو الوسوسة علامة محض الإيمان، وهذا القول اختيار القاضي عياض.

٤- قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (فمن وجد ذلك فليقل آمنت بالله، وفي الرواية الأخرى فليستعذ بالله ولينته) فمعناه الإعراض عن هذا الخاطر الباطل والالتجاء إلى الله تعالى في إذهابه.

٥- قال الإمام المازري رَحِمَهُ اللَّهُ ظاهراً الحديث أنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أمرهم أن يدفعوا الخواطر بالإعراض عنها والرد لها من غير استدلال ولا نظر في إبطالها، قال: والذي يقال في هذا المعنى أن الخواطر على قسمين: فأما التي ليست بمستقرة ولا اجتلبتها شبهة طرأت فهي التي تدفع بالإعراض عنها وعلى هذا يحمل الحديث وعلى مثلها ينطلق اسم الوسوسة، فكأنه لما كان أمراً طارئاً بغير أصل دفع بغير نظر في دليل إذ لا أصل له ينظر فيه، وأما الخواطر المستقرة التي أوجبتها شبهة فإنها لا تدفع إلا بالاستدلال والنظر في إبطالها من الكتاب والسنة وسؤال أهل العلم فيما يرد على الإنسان من استشكالات وشبهه فإنما شفاء العبي السؤال قال تعالى ﴿فَسْئَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [سورة النحل: آية ٤٣] (١).



(١) انظر ص ٢ / ٧٨٩ فتاوى النبي في العقيدة للحمادي.

﴿٣٤﴾ خير الناس بعد الأنبياء القرون الثلاثة الأولى من هذه الأمة ﴿﴾

وفضل أصحاب رسول الله

عن عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: سئل رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أي الناس خير؟» قال: «قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم، ثم يجيء قوم تبدر شهادة أحدهم يمينه، وتبدر يمينه شهادته»^(١).

بينت هذه الفتوى النبوية أن خير الناس بعد الأنبياء القرون الثلاثة الأولى القرن الذي فيه النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وفي ذلك فضل أصحاب رسول الله ثم القرن الثاني ثم الثالث، فمن هو الصحابي؟ وما موقف أهل السنة من الصحابة رضوان عليهم؟

الجواب: الصحابي من اجتمع بالنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مؤمناً به ولو لحظة ومات على ذلك .

وموقف أهل السنة من الصحابة: محبتهم، والثناء عليهم، وسؤال المغفرة والرحمة لهم والترضي عليهم، والكف عن مساوئهم وما شجر بينهم، كما وصفهم الله بقوله: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [سورة الحشر: آية ١٠] .

وقال تعالى: ﴿شُحِّدَ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾ [سورة الفتح: آية ٢٩] .

(١) أخرجه البخاري (٣٦٥١) دون ذكر السؤال، ومسلم واللفظ له (٢٥٣٣).

وقال عَزَّجَلَّ ﴿وَالسَّيِّئُونَ الْأُولُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [سورة التوبة: آية ١٠٠].

وقال تعالى ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا﴾ [سورة الفتح: آية ١٨].

وقال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لا تشبوا أصحابي ، فإن أحدكم لو أنفق مثل أحد ذهبا ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه»^(١).

وفضائل الصحابة في الكتاب والسنة كثيرة ومعروفة.



(١) رواه مسلم ٢٥٤٠.

﴿٣٥﴾ لا طيرة وخيرها الفأل ﴿﴾

📖 عن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (لا طيرة، وخيرها الفأل. قالوا: وما الفأل؟ قال: الكلمة الصالحة يسمعونها أحدكم)^(١).

الكلمة الطيبة الصالحة تبعث الاطمئنان والراحة للإنسان، لا سيما في أوقات الكرب، فتعطيه بشرى لرفع الكرب.

وفي هذا الحديث يقول النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لا طيرة» من التطير، وهو التشاؤم، فلا يظن أحد أن ما جعله سبباً للتشاؤم، سواء كان مخلوقاً، أو مكاناً، أو زماناً؛ هو السبب فيما يحدث له، بل كل شيء بقدر الله عَزَّوَجَلَّ، «وخيرها الفأل»، أي: خير الطيرة، وليس المعنى أن في الطيرة خيراً، ولكن المراد أن خير تلك الظنون التي يظهر آثار لها في الواقع؛ هو الفأل، فاستفسر الصحابة رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ من النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن معنى الفأل، فقال لهم: «الكلمة الصالحة يسمعونها أحدكم»، فتجعله يحسن الظن بربه، وتشرح صدره، وتريح فؤاده، فالفأل يساعد الإنسان على السعي في قضاء مهماته وإتمامها.

وفي الحديث: النهي عن التشاؤم بالأحداث والزمان والمكان؛ لأن كل شيء بقدر الله.

وفيه: التوجيه إلى التفاؤل والاستبشار بالكلمة الطيبة.



(١) رواه البخاري ٥٧٥٤.

﴿٣٦﴾ كيفية الصلاة على النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ﴿﴾

وأهل بيته الكرام

يُحكي التابعي عبد الرحمن بن أبي ليلى أن كعب بن عجرة لقيه فقال: ألا أهدي لك هدية سمعتها من النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ فقلت: بلى، فأهدها لي، فقال: سألنا رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقلنا: يا رسول الله، كيف الصلاة عليكم أهل البيت؟ فإن الله قد علمنا كيف نسلم عليكم؟ قال: قولوا: اللهم صل على محمد وعلى آل محمد، كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم؛ إنك حميد مجيد، اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد، كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم؛ إنك حميد مجيد^(١).

للنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مكانة عند ربه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وقد كان الصحابة رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ يحبون أن يسألوه عما يبين مكانته تلك؛ ليتعلموا كيف يذكرونه بها.

وفي هذا الحديث يحكي التابعي عبد الرحمن بن أبي ليلى أن كعب بن عجرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ لقيه، فقال له: ألا أهديك هدية سمعتها من النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ وهذا من التودد إليه مع إكرامه وتشويقه لما سيقوله، مع ما في ذلك من دلالة على شدة حبه للنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، واعتبار ما سيرويه هدية لكل مسلم؛ لما فيه من الخير والأجر لمن أداه.

فقال له عبد الرحمن: بلى، أعطني هذه الهدية، فقال كعب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: سألنا رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: كيف نصلي عليكم يا أهل بيت النبوة في التشهد في

(١) رواه البخاري ٣٣٧٠.

الصلاة؛ فإن الله سبحانه قد علمنا كيف نسلم عليكم؟ أي: إن الله تعالى أمرنا بالصلاة والسلام عليك في قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [سورة الأحزاب: آية ٥٦]، وقد عرفنا كيفية السلام عليك بما علمتنا في التحيات أن نقول: «السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته»، فعلمنا اللفظ الذي به نصلي به عليك كما علمتنا السلام.

وقد ثبتت الأحاديث عن الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في بيان صفة الصلاة عليه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الصحيحين وغيرهما.

ومن ذلك حديث أبي حميد الساعدي أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال للصحابة لما سأله عن كيفية الصلاة عليه قال: قولوا: اللهم صل على محمد وعلى أزواجه وذريته، كما صليت على آل إبراهيم، اللهم بارك على محمد وعلى أزواجه وذريته، كما باركت على آل إبراهيم إنك حميد مجيد.

ومن ذلك قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في حديث أبي مسعود الأنصاري لما سأله عن كيفية الصلاة عليه قال: قولوا اللهم صل على محمد وعلى آل محمد، كما صليت على آل إبراهيم، وبارك على محمد وعلى آل محمد، كما باركت على آل إبراهيم في العالمين إنك حميد مجيد، والسلام كما علمتم.

❁ فوائد من الحديث :

- ١- وفي الحديث: حرص الصحابة على تعلم الخير من النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.
- ٢- وفيه: بيان علو منزلة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وعلو مكانة آله عند الله سبحانه.
- ٣- بيان كيفية الصلاة على النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالصيغ الكاملة الشاملة.

٤- أن الصلاة على الآل من تمام الصلاة على النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

٣- مشروعية الصلاة على النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بهذه الصيغة في الصلاة بعد التشهد.

٤- ذكر بعض أهل العلم أن هذه الصيغة هي التي تقال في تشهد الصلاة لأنه سبقها في بداية التشهد السلام على النبي أما خارج الصلاة فإنه يجمع مع الصلاة السلام فتقول: اللهم صل وسلم على محمد وعلى آله هذا هو مقتضى قوله عزَّوَجَلَّ ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [سورة الأحزاب: آية ٥٦].

٥- معنى "الصلاة على النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ" هو الثناء عليه في الملاء الأعلى، ويكون دعاء الملائكة ودعاء المسلمين بالصلاة عليه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بأن يثني الله تعالى عليه في الملاء الأعلى قال البخاري: قال أبو العالية: (صلاة الله: ثناؤه عليه عند الملائكة، وصلاة الملائكة الدعاء).

٦- وهذا مختصر فوائد الصلاة على النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ التي ذكرها ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى في كتابه: «جلاء الأفهام في فضل الصلاة والسلام على خير الأنام» أربعون فائدة للصلاة على النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهي:

١. امتثال أمر الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

٢. موافقة الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى في الصلاة على النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وإن اختلفت الصلاتان، فصلاتنا عليه دعاء وسؤال، وصلاة الله تعالى عليه ثناء وتشريف.

٣. موافقة الملائكة فيها.

- ٤ . الحصول على عشر صلوات من الله تعالى ، المصلي مرة واحدة.
- ٥ . أن يرفع العبد بها عشر درجات.
- ٦ . أنه يكتب له بها عشر حسنات.
- ٧ . أنه يمحي عنه بها عشر سيئات.
- ٨ . أنه يرجى إجابة دعائه إذا قدمها أمامه.
- ٩ . أنها سبب لشفاعة النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.
- ١٠ . أنها سبب لغفران الذنوب.
- ١١ . أنها سبب لكفاية الله سُبحَانَهُ وَتَعَالَى العبد ما أهمه.
- ١٢ . أنها سبب لقرب العبد من النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يوم القيامة.
- ١٣ . أنها تقوم مقام الصدقة لذي العسرة.
- ١٤ . أنها سبب لقضاء الحوائج.
- ١٥ . أنها سبب لصلاة الله على المصلي وصلاة ملائكته عليه.
- ١٦ . أنها زكاة للمصلي وطهارة له.
- ١٧ . أنها سبب لتبشير العبد بالجنة قبل موته.
- ١٨ . أنها سبب للنجاة من أهوال يوم القيامة.
- ١٩ . أنها سبب لتذكر العبد ما نسيه.
- ٢٠ . أنها سبب لرد النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على المصلي والمسلم عليه.
- ٢١ . أنها سبب لطيب المجلس فلا يعود حسرة على أهله يوم القيامة.
- ٢٢ . أنها سبب لنفي الفقر.

٢٣. أنها تنفي عن العبد اسم البخل إذا صلى عليه عند ذكره.
٢٤. أنها سبب للنجاة من الدعاء عليه برغم الأنف.
٢٥. أنها سبب لسلك طريق الجنة؛ لأنها ترمي بصاحبها على طريق الجنة، وتخطئ بتاركها عن طريقها.
٢٦. أنها تنجي من نتن المجلس الذي لا يذكر فيه الله ورسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.
٢٧. سبب لتمام الكلام الذي ابتدئ بحمد الله والصلاة على رسوله.
٢٨. أنها سبب لوفرة «كثرة» نور العبد على الصراط.
٢٩. أنه يخرج بها العبد عن الجفاء.
٣٠. أنها سبب لإبقاء الله سُبحَانَهُ وَتَعَالَى الثناء الحسن للمصلي عليه بين أهل السماء والأرض.
٣١. أنها سبب البركة في ذات المصلي وعمله وعمره وأسباب مصالحه.
٣٢. أنها سبب لنيل رحمة الله تعالى له.
٣٣. أنها سبب لدوام محبته للرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وزيادتها وتضاعفها.
٣٤. أنها سبب لمحبة الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ للمصلي عليه.
٣٥. أنها سبب لهداية العبد وحياة قلبه.
٣٦. أنها سبب لعرض اسم المصلي على النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وذكره عنده.
٣٧. أنها سبب لتثبيت القدم على الصراط والجواز عليه.
٣٨. أن الصلاة عليه أداء لأقل القليل من حقه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

٣٩. أنها متضمنة لذكر الله تعالى وشكره، ومعرفة إنعامه على عباده بإرساله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

٤٠. أنها دعاء، بحيث يسأل العبد ربه تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَنْ يثني على خليله وحيبيه محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ويزيد في تشریفه وتكریمه وإيثار ذكره ورفعته.



﴿٣٧﴾ ما ينتفع به الأموات من سعي الأحياء ﴿﴾

عن عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا أن رجلاً أتى النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال: يا رسول الله، إن أُمِّي أفتلتت نفسها ولم توص، وأظنها لو تكلمت تصدقت، أفلها أجر إن تصدقت عنها؟ قال: «نعم»^(١).

قال النووي رَحِمَهُ اللهُ: «وفي هذا الحديث: أن الصدقة عن الميت تنفع الميت ويصله ثوابها، وهو كذلك بإجماع العلماء، وكذا أجمعوا على وصول الدعاء وقضاء الدين بالنصوص الواردة في الجميع»^(٢).

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ: «الصدقة عن الموتى ونحوها تصل إليهم باتفاق المسلمين»^(٣).

قال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له)^(٤).

وعن أبي أسيد مالك بن ربيعة الساعدي قال: بينا نحن جلوس عند رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إذ جاءه رجل من بني سلمة فقال: (يا رسول الله، هل بقي من بر أبوي شيء أبرهما به بعد موتهما؟ فقال: نعم، الصلاة عليهما، والاستغفار لهما، وإنفاذ عهدهما من بعدهما، وصلة الرحم التي لا توصل إلا بهما، وإكرام صديقهما)^(٥).

(١) متفق عليه أخرجه البخاري ١٣٨٨ و ٢٧٦٠ ومسلم ١٠٠٤.

(٢) شرح مسلم للنووي.

(٣) جامع المسائل (٤/٢٧٠).

(٤) أخرجه مسلم (١٦٣١)، وابن أبي الدنيا في (النفقة على العيال) (٤٣٠) واللفظ له.

(٥) رواه أبو داود.

﴿٣٨﴾ كيف الأمر إذا لم تكن جماعة ﴿﴾

عن حذيفة بن اليمان رَضِيَ اللهُ عَنْهُ يقول (كان الناس يسألون رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن الخير، وكنت أسأله عن الشر مخافة أن يدركني، فقلت: يا رسول الله إنا كنا في جاهلية وشر، فجاءنا الله بهذا الخير، فهل بعد هذا الخير من شر؟ قال: «نعم»، قلت: وهل بعد ذلك الشر من خير؟ قال: «نعم، وفيه دخن» قلت: وما دخنه؟ قال: «قوم يهدون بغير هديي، تعرف منهم وتنكر»، قلت فهل بعد ذلك الخير من شر؟ قال: «نعم، دعاة إلى أبواب جهنم، من أجابهم إليها قذفوه فيها» قلت: يا رسول الله، صفهم لنا فقال: «هم من جلدتنا، ويتكلمون بألسنتنا»، قلت: فما تأمرني إن أدركني ذلك؟ قال: «تلتزم جماعة المسلمين وإمامهم» قلت: فإن يكن لهم جماعة ولا إمام؟ قال: «فاعتزل تلك الفرق كلها، ولو أن تعض بأصل شجرة، حتى يدركك الموت وأنت على ذلك»^(١).

لحتمية لزوم جماعة المسلمين وإمامهم على كل الأحيان، وفرضيتها على جميع الأحوال وخاصة عند ظهور الفتن، جاءت فتيا النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هذه مؤكدة على لزومها وحرمة الخروج عنها وذلك إجابة لحذيفة ندما استفتاه فأجابه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بقوله: «تلتزم جماعة المسلمين وإمامهم». وهذا نص في المسألة، دال على وجوب لزوم الجماعة، وحرمة الخروج عنها وخاصة في الأحوال التي تظهر فيها الفتن ويعم الشر، وتزداد شوكة الباطل وأهله).

(١) متفق عليه رواه البخاري ٧٠٨٤ ومسلم ١٨٤٧.

قال ابن بطال رَحْمَةُ اللَّهِ: «فيه حجة لجماعة الفقهاء في وجوب جماعة المسلمين، وترك القيام على أئمة الجور...»^(١).

وفي لزوم المرء هذا الأصل وتطبيقه يسلم دينه، ويعصم من الفتن وينجو من تبعاتها، وتقوى الروابط الإيمانية بينه وبين إخوانه المسلمين وفي لزوم الجماعة: يقوى الضعيف، وينصر المظلوم، ويعان العاجز، ويحفظ كيان الأمة، وينمو الخير في النفوس، وينتفي عنها كل غل وغش^(٢). إلى غير ذلك من الثمرات اليانعة، والعواقب الحميدة التي تدرك بلزوم هذا الأصل، وأجل فوائد ذلك: توفيق الله العبد بامتثال أمر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وعمله بالسنة بلزوم هذا الأصل؛ ولذلك كانت مفارقة الجماعة بدعة ظاهرة يجازى فاعلها بأشد العقوبات القتل، وتوصف وفاته بأنها ميتة جاهلية^(٣).

وفي ختام هذا الحديث العظيم سأل حذيفة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ السؤال الأخير وهو قوله: فإن لم يكن لهم جماعة ولا إمام؟ قال: «فاعتزل تلك الفرق كلها، ولو أن تعض بأصل شجرة حتى يدركك الموت وأنت على ذلك» فلو كان تعدد الجماعات وقيام الأحزاب سائغا - عند عدم وجود جماعة للمسلمين بإمامها - لما أمر صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حذيفة باعتزال تلك الفرق كلها، وإذا كان هذا هو الحكم عند عدم وجود جماعة للمسلمين ولا إمام، فكيف الحكم عند قيام جماعة للمسلمين بإمامهم؟! لا شك أنه أولى بالمنع؛ ولذلك قال الطبري رَحْمَةُ اللَّهِ: وفي

(١) (شرح صحيح البخاري لابن بطال ١٠/٣٣).

(٢) (النهاية لابن الأثير ٣/٣٨١).

(٣) (انظر الاعتصام للشاطبي ٢/٤٦٠).

الحديث: "أنه متى لم يكن للناس إمام، فافترق الناس أحزاباً، فلا يتبع أحداً في
الفرقة، ويعتزل الجميع إن استطاع ذلك خشية من الوقوع في الشر"^(١).



(١) انظر فتح الباري (٣٧/١٣).

﴿٣٩﴾ ما جاء في عدد الرسل ﴿﴾

📖 عن أبي أمامة الباهلي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أن رجلاً قال: يا رسول الله، أنبي كان آدم؟، قال: «نعم»، قال: كم بينه وبين نوح؟، قال: «عشرة قرون»، قال: كم بين نوح وإبراهيم؟، قال: «عشرة قرون»، قال: يا رسول الله كم كانت الرسل؟، قال: «ثلاثمائة وخمسة عشر»^(١).

ذكر أبو أمامة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ في هذا الحديث أن رجلاً جاء إلى النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فسأله عن آدم هل كان نبياً؟ فقال له رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: نعم كان نبياً.

فسأله عن مقدار الزمن بينه وبين نوح؟ فذكر صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن المدة بينهما عشرة قرون، ثم سأله عن مقدار الزمن بين نوح وإبراهيم؟ فأجابه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بنفس الجواب وأنها عشرة قرون، ثم سأله عن عدد الرسل؟ فأجابه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بأنهم ثلاثمائة وخمسة عشر رسولا.



(١) المعجم الأوسط (٤٠٣)، السلسلة الصحيحة (٢٦٦٨).

﴿٤٠﴾ أكثر ما يدخل الجنة وأكثر ما يدخل النار ﴿﴾

عن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ (سئِلَ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ أَكْثَرِ مَا يَدْخُلُ النَّاسُ الْجَنَّةَ؟ فَقَالَ: تَقْوَى اللهِ وَحَسَنُ الْخَلْقِ، وَسئِلَ عَنْ أَكْثَرِ مَا يَدْخُلُ النَّاسُ النَّارَ، قَالَ: الْفَمُ وَالْفَرْجُ) ^(١).

في هذه الفتوى أجاب النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على سؤالين عن أكثر ما يدخل الناس بسببه الجنة، فأجاب قائلاً: تقوى الله وحسن الخلق، وأكثر ما يدخل الناس بسببه النار؟، فأجاب قائلاً: الفم والفرج.

أما الفم فبأكل الحرام والغيبة والنميمة وسائر آفات اللسان التي يجب التنبه لها والحذر منها.

وأما الزنا فهو من الفواحش وكبائر الإثم فالواجب على المسلم اجتنابه والابتعاد عن الوسائل التي توصل إليه من النظر الحرام والاقتراب من مواقع الفتن.

وقد قال عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ (ما تركت بعدي فتنة أضر على الرجال من النساء) ^(٢). فلا أحد أقدر على فتنة الرجل وإغوائه من المرأة السوء؛ لقوة تأثيرها عليه عاطفياً؛ ولذلك فإن المرأة إذا كانت صالحة أصلحت المجتمع، أو زادت صلاحاً، أو خففت من فساد، وإن كانت فاسدة أفسدت المجتمع والبيت، إلا من عصمه الله بقوة الدين والعزيمة والإرادة.

(١) أخرجه الترمذي (٢٠٠٤) واللفظ له، وابن ماجه (٤٢٤٦)، وأحمد (٩٠٨٥) رواه الترمذي وقال: حديث حسن صحيح. وقال الألباني إسناده حسن.

(٢) أخرجه البخاري (٥٠٩٦)، ومسلم (٢٧٤٠).

وهذا الحديث فيه تحذير من النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ للأمة من فتنة النساء، وأنها أكثر الفتن ضرراً على الرجال، ووجه فتنتهم أن المرأة إذا كانت زوجة فإنها قد تكلف الرجل من النفقة ما لا يطيق أحياناً، فتشغله عن طلب أمور الدين، وتحمله على التهالك على طلب الدنيا، وتكون فتنتهن أحياناً بإغراء الرجال وإمالتهم عن الحق إذا خرجن واختلطن بهم؛ خصوصاً إذ كن سافرات متبرجات، مما قد يؤدي إلى الوقوع في الزنا بدرجاته؛ فينبغي للمؤمن الاعتصام بالله، والرغبة إليه في النجاة من فتنتهن، والسلامة من شرهن.

ومصدق هذا الحديث قول الله تعالى: ﴿زَيْنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ۗ ذَٰلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۗ وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَبَآئِ ۗ﴾ [سورة آل عمران: آية ١٤]، فقدم شهوة النساء على جميع الشهوات.



{ الفهرس }

- ٥ المقدمة
- ٨ (١) أفضل الأعمال إيمان بالله ورسوله
- ١٠ (٢) التوحيد موجب لدخول الجنة والشرك موجب لدخول النار
- ١٢ (٣) الإخلاص أصل الدين
- ١٤ (٤) مراتب الدين ثلاثة (الإسلام والإيمان والإحسان)
- ٢٠ (٥) الدين النصيحة
- ٢٥ (٦) أسعد الناس بشفاعته النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
- ٣٠ (٧) الشرك أكبر الذنوب
- ٣٣ (٨) التوحيد يورث الأمن التام والاهتداء التام والشرك هو أظلم الظلم وأعظم الذنوب
- ٣٥ (٩) الأنبياء دينهم واحد وهو التوحيد والدعوة إليه وشرائعهم مختلفة
- ٣٧ (١٠) ما من عبد قال : لا إله إلا الله ، ثم مات على ذلك إلا دخل الجنة وإن زنى وإن سرق
- ٣٨ (١١) هل نرى ربنا يوم القيامة؟
- ٤١ (١٢) لا بأس بالرقى ما لم يكن فيها شرك
- ٤٣ (١٣) حكم الكهانة والكهان
- ٤٦ (١٤) الشرك الأصغر
- ٤٨ (١٥) دعاء للسلامة من الشرك الخفي
- ٤٩ (١٦) النشرة وحل السحر بمثله من عمل الشيطان
- ٥١ (١٧) الشرك والسحر من السبع الموبقات
- ٥٤ (١٨) لا يعبد الله بالذبح له في مكان يذبح فيه لغير الله

- ٥٥ (١٩) الأخذ بالأسباب لا ينافي التوكل ❁
- ٥٧ (٢٠) من نوقش الحساب عذب ❁
- ٥٩ (٢١) نؤذي حق ولاة الأمر ونسأل الله حقنا ❁
- ٦٠ (٢٢) ثناء الناس على من يعمل الخير لا يضره بل هو عاجل بشرى المؤمن ❁
- ٦١ (٢٣) التداوي لا ينافي التوكل ❁
- ٦٢ (٢٤) وجوب كسر الأوثان والأصنام ❁
- ٦٣ (٢٥) التوحيد شرط قبول العمل ونفعه في الآخرة ❁
- ٦٥ (٢٦) أعظم ما يقربك إلى الجنة أن تعبد الله لا تشرك بالله شيئاً وتعمل بما ورد في الحديث ❁
- ٦٧ (٢٧) ذم العجب بالعبادة والحث على التوقي على العمل وأن الجنة لا يدخلها أحد بعمله ❁
- ٦٨ (٢٨) النذر عبادة وصرفه للأوثان والأصنام والقبور شرك أكبر ووجوب الوفاء بالنذر إذا
كان لله تَبَارَكَ وَتَعَالَى ❁
- ٦٩ (٢٩) تحريم التشبه بالكفار ❁
- ٧٠ (٣٠) في كيفية إتيان الوحي إلى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وشدته عليه ❁
- ٧٦ (٣١) عبادة الأوثان في آخر الزمان ❁
- ٧٨ (٣٢) فتنة المؤمنين في قبورهم إلا الشهيد ❁
- ٨٠ (٣٣) ما جاء في رد كيد الشيطان إلى الوسوسة ❁
- ٨٢ (٣٤) خير الناس بعد الأنبياء القرون الثلاثة الأولى من هذه الأمة وفضل أصحاب رسول الله ❁
- ٨٤ (٣٥) لا طيرة وخيرها الفأل ❁
- ٨٥ (٣٦) كيفية الصلاة على النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وأهل بيته الكرام ❁
- ٩١ (٣٧) ما ينتفع به الأموات من سعي الأحياء ❁
- ٩٢ (٣٨) كيف الأمر إذا لم تكن جماعة ❁

- ٩٥ ما جاء في عدد الرسل ❁
- ٩٦ أكثر ما يدخل الجنة وأكثر ما يدخل النار ❁
- ٩٨ الفهرس ❁

